جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

مظاهر التعصب الغربي ضد الإسلام وأثره على الحوار الإسلامي المسيحي

- بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 -

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصص عقيـــــدة

إعداد الطالب: عبد الحليم عبد اللاوي

إشراف الدكتور: بشير بوساحة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
د. بشير بوساحة	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
أ.إسماعيل عريف	أستاذ مساعد	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	عضوا

السنة الجامعية: 1438 - 1439هـ/ 2017 -2018 م

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى السيد الدكتور بشير بوساحة على قبوله الاشراف على مذكرتي، وعلى جل النصائح والتصويبات القيمة التي قدمها لي، كما أشكر السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل، والشكر موصول لكامل أساتذة وإداريين كلية أصول الدين وكل الأصدقاء والزملاء على الدعم والنصح.

ملخص الدراسة

في جميع المراحل، كانت العلاقات بين الإسلام والعالم المسيحي تهيمن عليها الصور النمطية التي كانت محددة لبعضها البعض. لعبت الأحداث التاريخية دورًا واضحًا في تطوير الإدراك الفكري للطرفين. قد يتطلب تحليل علاقة الغرب بالإسلام عودة إلى التاريخ لكسر مراحل التطور المعرفي لهذه الصور لبعضها البعض من أجل فهم أفضل للصراع المتجدد بين الأطراف، تحاول هذه الدراسة تحليل تهمة الإرهاب والتطرف، التي أصبحت حكراً على الإسلام، من منطلق تطوره في السياق الفكري الغربي، أين سنركز على دراسة العلاقة المتوترة للغاية بين الإسلام والغرب حديثاً في أعقاب أحداث 11 سبتمبر.

تحددت الإشكالية بالصيغة التالية: ماهي مظاهر التعصب الغربي ضد الإسلام وتأثيرها السلبي على الحوار بين الإسلام والمسيحية؟ بعد أحداث 11 سبتمبر2001.

وهدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم مظاهر التعصب على مسار الحوار بين الإسلام والمسيحية، وكيف هو واقع ومستقبل المسلمين في الغرب بعد هجمات أحدث 11 سبتمبر، حيث قسمت الدراسة إلى ثلاث فصول الفصل الأول: كان عبارة عن محطة تمهيدية للولج لفهم مصطلحات التعصب لغة واصطلاحاً، وتفسيراته العلمية وأنواعه، والحوار ومدلولاته في اللغة والاصطلاح وأشكاله، الدوافع ومسبباته، أما الفصل الثاني فتكلمنا فيه على أهم مظاهر التعصب الغربي، بداية من أحداث 11 سبتمبر 2001 و تأثيراتها على الخارطة السياسية ووقاع الإسلام و المسلمين، و الفصل الثالث درسنا فيه أثر التعصب الغربي على الحوار و عن ثقافة التسامح والتعايش ودور الحوار كعملية "حضارية وخلصت الدراسة إلى أي محاولة لحوار جاد بين الأديان يتطلب عودة موضوعية لتلك الأحداث التاريخية والتصورات التي لا تزال تهيمن على المواقف المعاصرة والابتعاد عن كل صور التعصب، وأن الآثار الناجمة عن التعصب والتطرف ستكون وخيمة على العالمين الغربي والإسلامي، ولا بد من الحوار الجاد فهو ضرورة لتحقيق التعايش بين الشعوب

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الغرب، الإرهاب، الحوار، التعصب، التطرف.

Abstract

At all stages the relations between Islam and the Christian world were dominated by stereotypes pictures that were specific to one another also , the Historical events have played a clear role in developing the intellectual perception of the parties when the Analysis of the West's relationship with Islam may require a return to history to break the stages of the cognitive development of these images to each other in order to better understand the renewed conflict between the parties. This study attempted to analyze the concept of terrorism and extremism which has become the monopoly of Islam, for studying the large of relationship between Islam and the West , recently in the wake of the events of 11 September. The problem was defined as follows: What are the manifestations of Western intolerance against Islam and its negative impact on dialogue between Islam and Christianity? After the events of 11 September 2001. The study aimed at shedding light on the most important manifestations of intolerance on the path of dialogue between Islam and Christianity, and how the reality and future of Muslims in the West after the attacks of the latest September 11, divided the study into three chapters: the first chapter was a preliminary station for the to understand the terminology of intolerance language and terminology, The second one dealt with the most important manifestations of Western fanaticism, beginning with the events of September 11, 2001, and its effects on the political map, Islam and Muslims. Chapter III examined the impact of Western fanaticism on the Dialogue and culture of tolerance and coexistence and the role of dialogue as a process of "civilized"

At length ,The study concluded with result that any attempt to serious dialogue between religions requires an objective return to those historical events and perceptions that still dominate contemporary attitudes and away from all forms of intolerance, and that the effects of intolerance and extremism will be severe Western and Islamic worlds, and actually ,there is a need for serious dialogue so it is a necessity to achieve coexistence among peoples.

Keywords: Islam, West, Terrorism, Dialogue, Intolerance, Extremism.

مقدمـــــة

مقدمة

يمكن إرجاع العلاقات بين المسلمين والغرب إلى الفترات الأولى من ظهور الإسلام كدين جديد. هذا ما رأيناه في غزوة مؤتة عام 629 م ، ثم معركة اليرموك عام 636 م. كانت هذه أول نقاط اتصال بين العالم الإسلامي الجديد والعالم المسيحي القديم. يبدو أن المعركة الثانية كانت حاسمة فيما يتعلق بالعلاقات بين المسلمين والغرب لأنها أنهت الوجود البيزنطي في جنوب البحر الأبيض المتوسط ، والذي كان لعدة قرون امتدادًا لروما وبيزنطة. وقد أسفرت نقاط الاتصال الأولية هذه عن العديد من العواقب غير المرغوب فيها بالنسبة لصورة الطرف الآخر في العقل، مع هزيمة الرومان عام 636 ميلادية، أصبح الإسلام عدوًا في ذهن أغلبية الغربيين. كانت الأحداث المرتبطة بالإسلام والمسلمون تمارس نفوذاً متوسعاً والإسلام سرعان ما رسخت هيمنته، التي كان ينظر إليها على أنها تهديد مستمر لترسيخ الحضارة الغربية

كانت ردود أفعال أوروبا على التوسع الإسلامي، خاصة بعد سيطرتها على القدس، التي كانت تمثل المركز المسيحي الأوّل والأهمّ في العالم بما فيه من مقدسات، في الغالب نتيجة لتصورها المتعثر تجاه الإسلام والمسلمين، أدى هذا إلى حرب منظمة طويلة الأمد ورمزية نفسية من خلال تقويض جميع جوانب الظاهرة الإسلامية.

إن آليات بناء تصور نمطي للآخر قد تطورت على عدد من المراحل، ولكنها تميل إلى صورة نمطية موحدة للمسلمين والإسلام في سياق حرب مستمرة. حيث كان وضع الإسلام في السياق الأوروبي العام هو عدو جديد يختلف في القدرات من العدو الفارسي القديم، من حيث القيم والأفكار والمعتقدات والأنظمة الاجتماعية

فالصراع بين العالمين يستند إلى حد كبير على هذا الأساس. ظهرت الصور النمطية للآخر كآلية دفاعية تبناها العالم المسيحي تجاه الخطر المتزايد للظاهرة الإسلامية، تطورت التصادمات بين العالمين بمرور الوقت من المواجهة العسكرية إلى حرب الكلمات والأفكار، وأخيرا الحرب الإعلامية في شكل تصدير جماعي للإسلام كدين للإرهاب والترهيب.

ومع نهاية القرن العشرين وتراجع الاستشراق واستبداله بمراكز الدراسات الشرق أوسطية، تغير التوازن السياسي خاصة فيما يتعلق بالنهج الأكاديمي الغربي للإسلام الذي ينظر إليه باعتباره ظاهرة ثقافية وسياسية جديدة. أدى التدخل الغربي في الحرب الباردة إلى موقف أكثر ليونة تجاه الإسلام سياسياً وعسكريًا وفكريًا. أين حلت الشيوعية محل الإسلام باعتباره التهديد العالمي رقم واحد. إلا أن الاهتمام الغربي المفاجئ المتجدد بالإسلام بعد انهيار الاتحاد السوفييتي لم يكن مفاجئًا، خاصة مع تزايد عدد مقترحات صراع الحضارات، التي اعتبرت أن الحرب القادمة ستكون اختلافات في الثقافة والحضارة.

فقد كان لأحداث 11 سبتمبر 2001 الكلمة الأخيرة في العلاقة الجدلية بين الإسلام والغرب. فشكلت الأحداث بوابة لإعادة النظر في العديد من السياسات على نطاق واسع من القضايا، سواء كانت دبلوماسية أو أمنية أو عسكرية أو حتى ثقافية تجاه العالم الإسلامي. تم بذل المزيد من الضغوط للقضاء على ما يسمى مصادر الإرهاب وأسباب التطرف الديني. كما تم تشجيع الإصلاحات التعليمية. سارع العديد من المراكز التعليمية الغربية إلى توجيه تهمة الإرهاب ضد الإسلام والمسلمين، واستعراض الخطاب التاريخي للعنف والعدوان فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، من أجل إطلاق الحرب العالمية على الإرهاب وتبريرها. في هذا السياق، تم تجديد القوالب النمطية المتحيزة للإسلام والمسلمين التي كانت كامنة من العصور الوسطى، ولكن هذه المرة من خلال المقاربات العديدة المتطورة للإعلام. كان الهدف من وسائل الإعلام هو ببساطة وضع الصورة النمطية الأخرى بناءً على الانتماءات الدينية أو العرقية. لجأ الغربيون إلى شكل الصور النمطية الإعلامية حينما أرادوا الحكم على الإسلام وتمييزه على أساس الأحكام المسبقة، التي تقلل العالم الإسلامي بكل مكوناته ومجموعاته المختلفة، وتقطع التنوع داخل الإسلام إلى مجموعة من الأفكار المتطرفة التي يرفضها الغالبية العظمى من المسلمين. من الواضح أن هذه الحملة قد عملت في الماضي على تكوين عمليات دعائية تهدف إلى تعريب وأسلمة "الإرهاب" وبواسطة هذه الوسائل أصبح العالم العربي والإسلامي ضحية "تشويه صورة العدو" لوسائل الإعلام، أي تحويل العرب والمسلمون، دون استثناء، ينتمون إلى الشرور، ومصادر الإرهاب والترهيب. يبدو أن وسائل الإعلام الغربية مخصصة لهذا الغرض من خلال تقديم إحصاءات غاضبة، وتشجيع الكراهية الدينية من خلال الرسوم الكاريكاتورية، أو الأبحاث الميدانية في البلدان الإسلامية التي تصور المسلمين على أنهم متخلفون ومتطرفون يكرهون الآخرين.

وقد استغل هؤلاء المفكرون المتطرفون قصور النظريات الفكرية التقليدية وغياب النظريات الحديثة لتفسير الواقع الدولي اليوم، فقدموا أطروحات نظرية عنصرية وجدت في الإسلام دينا وحضارة العدو الأمثل الذي يمكنها من تحقيقها من خلال، تقديم رؤية نقدية لطبيعة التهديدات التي تعرفها المجتمعات الغربية وأهمها التفكك الاجتماعي، نتيجة تزايد اهتمام المواطن الأوربي والغربي بإشباع رغباته المادية وإهمال كل ما هو روحي قيمي. وتبرير السياسة الإمبريالية التوسعية للدول الغربية على حساب الدول الإسلامية، وتسهيل عملية اختراقها بدعوى محاربة الإرهاب والأصولية بهدف الهيمنة على الموارد الطبيعية الكبيرة التي تزخر بها الدول الإسلامية.

ومن هنا جاءت أهمية طرح بدائل للصراع الحضاري مثل: التعايش الحضاري والوفاق الحضاري وحوار الأديان و الثقافات إلى غير ذلك من المفاهيم ذات البعد الإنساني العالمي، والتي تدعوا إلى التفاهم بدل الصراع و التعصب ، لأن حوار الأديان صار حتمية مفروضة على الشعوب المستضعفة وعلى رأسها الدول العربية الإسلامية، كونها لا تملك مقومات القوة سواء العسكرية أو الاقتصادية أو التكنولوجية لمواجهة الدول الغربية الإمبريالية، كما أن تناميها جس الخوف من الإسلام والمسلمين زاد في تعميق هوة الخلاف بين العالمين العربي الإسلامي والغربي المسيحي، غير أن هذين العالمين يملكان همزة وصل تربط بينهما وهو الجالية العربية الإسلامية في أوربا وأمريكا، والتي تكون قوة بشرية لا يستهان بها.

إشكالية الدارسة

تتناول اشكالية البحث دور التعصب الغربي بكل أشكاله ضد الإسلام والمسلمين على عرقلة الحوار بين الأديان، وما هي الآليات والحلول لتفعيل التواصل الحضاري مع الغرب؟ وذلك من خلال السؤال التالي: ماهي مظاهر التعصب الغربي ضد الإسلام وتأثيرها السلبي على الحوار بين الإسلام والمسيحية؟

التساؤلات الفرعية

ولغرض توضيح الإشكالية أكثر وتفصيلها وضعت الأسئلة التالية:

- ✓ ما مفهوم التعصب؟ وما هي أنواعه وأشكاله؟ وما مدى ممارسة أتباع الديانة المسيحية له تجاه الإسلام والمسلمين؟ وما هي أبرز تجليات ومظاهر تلك الممارسة؟
- ✓ ما مفهوم الحوار؟ وما دوافع الغربية من الحوار؟ وما حاجات الإسلام والمسلمين له؟

- ✓ كيف تنظر المجتمعات الغربية إلى المسلمين في ظل الهجمات التي تعرضت لها، والتي نسبت إلى حركات إسلامية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ؟
- ✓ كيف أثرت خطابات أحزاب اليمين المتطرّف التي تدعو إلى القومية وإلى معاداة المهاجرين وخاصة منه الأقليات المسلمة؟
- ✓ وما الدور الذي لعبه الاستشراق والإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام والمسلمين؟

الهدف من الدراسة

- تسليط الضوء على أهم مظاهر التعصب بكامل أشكاله وخاصة الديني وتأثيره على مسار الحوار بين الإسلام والمسيحية.
- واقع ومستقبل المسلمين في الغرب بعد هجمات أحدث 11 سبتمبر 2001 .
- الدور الذي يجب أن تعمل عليه المؤسسات (المدنية والرسمية) في نشر صورة الاسلام السمحة وتبديد مفهوم الإسلاموفوبيا.
- ضرورة الحوار والتفاهم، وحل النزاعات بالمفاوضات، ونبذ التطرف والعنف.

أسباب اختيار الموضوع

الدافع الذاتي:

- غيرتنا على هذا الدين، وعملنا على كشف ما يحاك ضده.
- رغبتنا الملحة في الاستزادة من معارفنا حول الديانات السماوية خاصة، المسيحية وأفكارها وأساليب تعايشها مع الآخر.

الدافع الموضوعي:

- ضرورة وجود من يكشف حقيقة التعصب الغربي ضد الإسلام، وخاصة ما تعلق منه بواقعنا المعاصر، والعمل من خلال ذلك على تنبيه الأمة إلى ما يواجهها من مخاطر، وما يجب عليه أن تستعد لمواجهته.
- محاولة الدفع بعجلة الحوار الإسلامي المسيحي فقد أصبح ضرورة في زمن الغلو والتطرف الفكري والديني.

- أهمية موضوع الحوار وضرورته لحل مشاكل دولية.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية

تشمل هذه الدراسة مجالا جغرافيا تشمل دول أوروبا وأمريكا

الحدود الزمانية

أما عن المجال الزماني لهذه الدراسة فهي ترتكز أساساً على أحداث 11 سبتمبر 2001 وتأثيراتها وما وقع من أحداث بعدها، حيث أنها كانت نقطة تحوّل للعالم أجمع، أين حدث تغيير في السياسة الأمريكية لتوسيع الدائرة الانتقامية لها لتشمل العالم العربي والإسلامي والهدف الأساس كان تنفيذ المخطط "الصهيوأمريكي" لتعزيز قوة إسرائيل على حساب إضعاف قوى المسلمين.

الإطار المنهجي:

وقد اتبعت في إعدادي لهذه الدراسة المناهج التالية:

المنهج التاريخي فلكل ظاهرة سياسية أو اجتماعية تاريخ ميلاد ونشأة تتطور من خلالها هذه الظاهرة عبر عدة مراحل تاريخية لتصل إلينا على ما هي عليه اليوم، فقد اعتمدنا هذا المنهج لنقل الحقائق والأحداث التاريخية.

المنهج التحليلي الوصفي الذي وظف في تحليل ووصف واقع الأقليات المسلمة وحال المسلمين في العالم عموما من أشكال تعصب ممارسة في حقهم وتأثيرها على مساعي الحوار.

خطة البحث

وللإحاطة بكل جوانب اشكاليتنا كان البناء الهيكلي لموضوع بحثنا بالصورة التالية، فقد كان لنا ثلاث فصول وخاتمة، مسبوقين، بمقدمة.

- مقدمة فيها تمت الإشارة الى أهمية تناول موضوع البحث في شكل مدخل حول المعالم الأساسية لهذا البحث.
- الفصل الأول: كان عبارة عن محطة تمهيدية للولج لفهم مصطلحات التعصب لغة واصطلاحاً، وتفسيراته العلمية وأنواعه، والحوار ومدلولاته في اللغة والاصطلاح وأشكاله، الدوافع ومسبباته.
- الفصل الثاني: نتكلم فيه على أهم مظاهر التعصب الغربي، بداية من أحداث 11 سبتمبر 2001 و تأثيراتها على الخارطة السياسية ووقاع الإسلام و المسلمين خاصة للأقليات المسلمة في أوربا و أمريكا ، ثم تكلمنا على دور المستشرقين و دوافعهم في تشويه صورة الإسلام الذي لعب الاعلام الغربي فيه دورا كبيرا في تأثيرها على الغرب برسم صورة نمطية على أن الإسلام دين عنف و تطرف و قتل، و أيضا تكلمنا على الدور الذي لعبه اليمين المتطرف في تغذية التطرف و الكراهية للمسلمين و خاصة في الجالية، و عرجنا على المقررات الدراسية الغربية التي ساهمت في ترسيخ نموذج سلبي و سيئ من تحقير وتشويه صورة العرب والمسلمين.
- الفصل الثالث: يدرس أثر التعصب الغربي على الحوار ، أين تكلمنا عن حقوق الأقليات المسلمة جراء الحملات العدائية بكل اشكالها كما ذكرنا في الفصل الثاني .. و من أثر التعصب ظهور و بروز فكرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) أين أصبح المسلم غير محبوب و مرغوب في الغرب و أردنا أن نكرس حتى نبتعد عن التطرف و التعصب لا بد من الحوار و تكلمنا فيه عن ثقافة التسامح والتعايش ودور الحوار كعملية "حضارية ". إذ يخلق بيننا كمجتمعات. الانخراط في حوار حقيقي في المجتمع المدني ويعزز قيم بناء الثقة والاحترام والشعور بالألفة والراحة والتعاون بعضنا مع البعض الآخر ومعرفة كيفية إنشاء أرضية مشتركة تجمع أفراد المجتمع.
- و في الخير خلصنا إلى جملة من النتائج كانت لنا خاتمة لهذا البحث.

المصادر و المراجع

معتمدين في ذلك على جملة من المصادر والمراجع من أهمها: التعصب دراسة نفسية اجتماعية، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام-علي عبد الواحد وافي-، التاريخ الأندلسي للفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة- عبد الرحمان علي الحجي-، كتاب التاريخ الإسلامي –محمود شاكر-، وموسوعة المغرب العربي –عبد الفتاح مقلد الغنيمي -البابا والإسلام –يوسف القرضاوي-، أولوية السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، شاهر إسماعيل الشاهر، معجم أسماء المستشرقين -يحي مراد- صورة الإسلام في الاعلام الغربي - عبد القادر طاش-

دور مسلمي أوربا في تفعيل حوار الحضارات دراسة حالة مسلمي فرنسا ، أطروحة دكتوراه، -مرسي مشري-

مقالات

تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام و المسلمين في الاعلام الغربي -يامين بودهان- ،

تهمة الإرهاب كمرحلة في صراع الحضارات: قراءة لتطور العنف الإسلامي في العقل الغربي -طارق لعجال-

، أحزاب اليمين المتطرف في أوربا دراسة في الأفكار والدور السياسي-ستار جابر الجابري-، الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوربا مقاربة سوسيو ثقافية -رابح زغوني- ..... الخ

كل هذه المراجع وأخرى ساعدتنا في الإلمام بالموضوع، ونأمل أخيراً أن نكون قد أعطينا الموضوع ولو الجزء اليسير من حقه .

الفصل الأول:

التعصب والحوار، المفهوم والدوافع.

المبحث الأول:

التعصب مفهومه، تفسيراته العلمية، أنواعه.

المبحث الثاني:

الحوار مفهومه و أنواعه، أسباب انعدامه و ظهور الصراع

المبحث الثالث

دوافع حوار الأديان وضروراته

المبحث الأول: التعصب: مفهومه، تفسيراته العلمية، أنواعه.

المطلب الأول: مفهوم التعصب.

أ/لغة: التعصب من العصبية، والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر، قيل: تعصبوا وفي الحديث:"العصبي من يعين قومه على الظلم"[1] ، والعصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم، والعصبة: الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم أي يحيطون به، ويشتد بهم. وفي الحديث "ليس منا من دعا إلى عصبته أو قاتل عصبيته"[2] ، ويرد أيضا بمعنى المحاماة والمدافعة.[3]

وهو كذلك الإعجاب الشديد بمبدأ أو شخص، يوافقه ميل متصلّبٌ متعنّتٌ يحجب عن صاحبه أحيانا وجوه الحقيقة.[4]

وجاء في كتاب "معجمي الحي" تعّصب:

- تعصّبت "سهام" قبل أن تكنس البيت أي شدّت رأسها بمنديل.
- تعصّب للحق ولا تخش لومة لائم أي مل إليه، انصره، دافع عنه.
- التعصب: طبَع التعصب حياة الجاهلية أي الميل إلى جانب ولو ضد الحق.

واسم الفاعل منه: مُتعصب.[5]

وكلها معان تدور حول الالتفاف والميل والنصرة.

1- رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في العصبية، برقم 5119 انظر ،سنن أبي داود ، تحقيق ،محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ،دط ، دت ، بيروت ، لبنان ، ج4 ، ص331.

2- رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في العصبية، برقم 5121 انظر ، سنن أبي داود ،المصدر السابق ، دط ،دت ، ج4 ، ص 332.

3- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان ، ط 3 ، 1412هـ/1994م ، ج1 ، ص606.

4- جبران مسعود ، معجم الرائد ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1990م ، ج1 ،ص415.

5- سهيل حسيب سماحة ، معجمي الحي ، مكتبة سمير ، دب ، ط 1 ، 1984 ، ص139.

ب/اصطلاحا: إن التعصب، شأنه شأن المفاهيم الحديثة اصطلاحا في العلوم (الاجتماعية والنفسية) لم يستقر فيه الباحثون والدارسون على تعريف واحد جامع ومانع، وذلك بالنظر إلى حداثة المصطلح من جهة، وتعقد موضوع عالم الإنسان المتداخل الجوانب النفسية و الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والحضارية، أو العمرانية عموماً (كما يطلق عليها ابن خلدون في مصطلحه المعروف)...من جهة أخرى، لقد ورد في تعريف أحد علماء النفس الاجتماعي وهو الدكتور حامد زهران "أن التعصب هو اتجاه نفسي جامد مشحون انفعاليًّا، أو عقيدة أو حكم مسبق(مع) أو- في الأغلب والأعم- (ضد) جماعة أو شيء أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية(بل ربما يستند على أساطير أو خرافات) وإن كنا نحاول أن نبرره، ومن الصعب تعديله، وهو يجعل الإنسان يرى ما يحب أن يراه فقط، ولا يرى ما لا يحب أن يراه، فهو يُعمي ويُصم ويشوه إدراك الواقع، ويُعد الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والإدراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب"[1]

ويقول السيد: يوسف أبو الخيل في مقال له بعنوان: سيكولوجية التعصب: "يعرِّف علم النفس الحديث التعصب بأنه((اتجاه نفسي لدى الفرد يجعله يدرك موضوعاً معيناً أو فرداً آخر غيره أو جماعة من الناس أو طائفة أو مذهباً (إدراكاً إيجابياَ محباً) أو (إدراكاً سلبياً كارهاً) دون أن يكون لطبيعة هذا الإدراك بجانبيه ما يبرره من المنطق أو الأحداث أو الخبرات الواقعية))[2]،والتعصب أيضا تشكيل رأي ما دون أخذ وقت كاف أو عناية للحكم عليه بإنصاف، وقد يكون هنا الرأي إيجابيا أو سلبيا، ويتم اعتناقه دون اعتبار للدلائل المتاحة.[3]

1- أحمد بن نعمان، التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟ ، شركة دار الأمة، الجزائر ، ط 2، 1997م ، ص11.

2- يوسف أبو الخيل، سيكولوجية التعصب، موقع جريدة الرياض، http://www.alriyadh.com/207727 ،تـ9ديسمبر 2006م ،تاريخ الزيارة 3/3/2018.

3-تيرادل فيوجو ،تعريب ، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض السعودية، ط2، 1999م، ج7، ص12.

وعُرّف أيضا بأنه: إفراط في الميل أو الانحياز مع رفض الانصياع للحق عند ظهور الدليل، والتعصب يقود صاحبه عادة إلى القيام بأعمال لا عقلانية قد تبلغ حد القتل أو الانتحار.[1]

ويشتق مفهوم التعصب – في أصله الأوربي – من الاسم اللاتيني "الحكم المسبق" praejuicium وقد مرّ هذا المفهوم بعدة تغيرات في معناه إلى أن وصل إلى المعنى الحالي، وتمثلت هذه التغيرات في ثلاث مراحل هي:

- المعنى القديم: ويقصد به الحكم المسبق الذي يقوم على أساس القرارات والخبرات الفعلية.
- وفيما بعد، اكتسب المفهوم في الإنجليزية معنى الحكم الذي يصدر عن موضوع معين قبل القيام باختبار وفحص الحقائق المتاحة عن هذا الموضوع فهو هنا بمثابة حكم متعجل مبتسر premature.
- وأخيرا، اكتسب المفهوم خاصية الانفعالية الحالية، سواء بالتفصيل أو عدم التفصيل، التي تصطحب الحكم الأولي (المسبق) الذي ليس له أي سند يدعمه.

هذه هي المراحل التاريخية الثلاث التي مر بها مفهوم التعصب، بحيث يبدو التعريف في المرحلة الأخيرة أقرب ما يكون إلى الصورة المقبولة في الوقت الحاضر.

"فألبورت" يرى أن أكثر تعريفات التعصب إيجازا هو التعريف التالي "التفكير السيئ عن الآخرين دون وجود دلائل كافية."

ويتفق "ايرليك" H-Ehrlick مع هذا التعريف مشيرا إلى أن التعصب "اتجاه عرقي يتسم بعدم التفصيل."

كما يعرفه "كريتش" بأنه "اتجاه يتسم بعدم التفضيل نحو موضوع معين، ينطوي على مجموعة من القوالب النمطية شديدة العمومية، ومن الصعب تغييره بعد توفر المعلومات المخالفة له."

1- منير البعلبكي، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ج4 ،ص102.

كما يرى "زاندان" j.zanden أنه "نسق من الإدراكات والمشاعر والتوجهات السلوكية السلبية المتصلة بأعضاء جماعة معينة" .

وتنطوي هذه التعريفات السابقة على بعض المقومات الأساسية لمفهوم التعصب هي:

1- حكم لا أساس له من الصحة، ويحدث بدون توفر الدلائل الموضوعية.
2- مشاعر سلبية تتسق مع هذا الحكم.
3- تأكيد غالبية هذه التعريفات على أهمية التوجهات السلوكية حيال أعضاء الجماعات موضوع الكراهية.

ومع ذلك، فهذه التعريفات غالبا ما تشير فقط إلى نوع واحد من نوعي التعصب هو التعصب السلبي negative prejudic، مغفلة التعصب الإيجابي، فالأشخاص ربما يتعصبون في تفضيلهم الأخير، ويعتقدون اعتقادات حسنة عنهم دون توفر دلائل كافية على ذلك، فالتعريف الذي يقدمه القاموس الإنجليزي الجديد يضع في الحسبان التعصب الإيجابي فضلا عن التعصب السلبي على النحو التالي: "مشاعر بالتفضيل تجاه شخص أو شيء ما سابقه للخبرة، أو لا تقوم على أساس الخبرات الفعلية"

وكذلك يرى "سيمسون" و "ينجر" G.simpson – J. yinger أن التعصب "اتجاه انفعالي متصلب نحو جماعة من الأشخاص."[1]

وبعد عرض هذه العينة من التعاريف نلاحظ أن التعصب يتفرع إلى عدة أنواع ويشمل عدة مجالات حيوية في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات والأمم، وهذا يقودنا إلى تحديد أنواع التعصب أو صورة حسب المجالات التي يظهر فيها أكثر من غيرها في عالمنا المعاصر، والتي لها أبعاد تتفاوت فيما بينها خطورة وحدّة، على علاقات الشعوب فيما بينها، وعلى وحدة

1- معتز سيد عبد الله، التعصب دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 2،1997، ص ص56_ 59، بتصرف.

الأمم وتلاحمها، وتلاقح حضاراتها وتقدمها كمجموعة بشرية يفترض أن تكون ذات حد أدنى من القيم الإنسانية المشتركة.[1]

المطلب الثاني: تفسيرات التعصب العلمية.

التعصب اتجاه له مكونات ثلاثة: هي المكون المعرفي، والمكون الانفعالي التقويمي، والمكون السلوكي، فالمكون المعرفي للاتجاه التعصبي عبارة عن الادراكات والمعتقدات والتوقعات الخاصة بأحد الأشخاص، والتي توجد لديه بخصوص أعضاء جماعة عرقية معينة، على سبيل المثال السود أو اليهود بينما ينطوي عليها متصل المودة– الصداقة العامة- العداء نحو موضوع الاتجاه، والمشاعر النوعية المختلفة التي تضفي على الاتجاه التعصبي الصبغة الانفعالية– التقويمية- ويشتمل الطرف الإيجابي من هذا المتصل على الإعجاب والعلاقات الوثيقة أو التوحد بينما يشتمل الطرف السلبي على مشاعر عديدة مثل الازدراء والخوف والحسد والمسافة الاجتماعية والاغتراب، أما المكون السلبي للاتجاه التعصبي، فيشتمل على المعتقدات الخاصة بما ينبغي عمله بالنسبة للجماعات مَثار الاهتمام، والتوجهات السلوكية للفرد نحو هذه الجماعة والنمط الأخير لهذا المكون يطلق عليه أحيانا سياسة التوجه.

ويكشف الفحص الدقيق لما كتب في مجال الاتجاهات التعصبية عن وجود ثلاثة معايير مثالية مختلفة، يمكن القول بأن الاتجاهات التعصبية تحدث نتيجة للانحراف عنها وهي:"معيار العقلانية" Rationality و"معيار العدالة" Justice و"معيار المشاعر الإنسانية الرقيقة " Human Heartedness، وقد أكدت كل مجموعة من الباحثين على معيار بذاته من هذه المعايير الثلاثة.

1- "معيار العقلانية" ويقصد بهذا المعيار أن هناك محاولات مستمرة تبذل للحفاظ على المعلومات الدقيقة، وتصحيح المعلومات الخاطئة التي يتلقاها الشخص، وعمل تمييزات وتحديدات لكي يكون منطقيًّا في استنباطاته وواعياً باستدلالاته، والتعصب بمعنى الانحراف عن "معيار العقلانية" يحدث في

1- أحمد بن نعمان، التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟ ، ص13_ بتصرف.

شكل حكم متعجل أو حكم مسبق أو تعميم مفرط أو التفكير في إطار القوالب النمطية، ورفض تعديل الرأي في ظل ظهور دلائل جديدة، ورفض السماح أو الاهتمام بالفروق الفردية.

2-أما "معيار العدالة" فيعد مؤشراً للمساواة في المعاملة بين الأشخاص جميعهم في كل مجالات الاهتمامات العامة، فيما عدا المعاملات الفارقة التي تقوم على أساس تمايز القدرات وأشكال الإنجاز التي تربط وظيفيًّا بمتطلبات الموقف، ويسمى السلوك الذي ينحرف عن هذا المعيار – بالتمييز- ويفرض "معيار العدالة" على الشخص أن يتجنب هذا التمييز، وأن يعيه ويعارضه حينما يراه موجهاً إلى طرف ثالث.

3-معيار "المشاعر الإنسانية الرقيقة" وهو أصعب في تفسيره من المعيارين الآخرين، ويتمثل هذا المعيار في تقبل الأشخاص الآخرين بمفاهيم إنسانيتهم، وليس على أساس أنهم يختلفون عن بعضهم البعض في بعض الخصال، وهذا التقبل يعد استجابة شخصية مباشرة، سواء على مستوى المشاعر أو السلوك، وتشمل هذه الاستجابة الشخصية مجالات العلاقات الخاصة فضلاً عن العلاقات العامة، والتعصب بمعنى الانحراف عن معيار "العلاقات الإنسانية الرقيقة" يتراوح من "اللامبالاة" Indifference من خلال الرفض، إلى العداوة النشطة Active Hostility ويطلق على هذا الشكل من أشكال التعصب اسم "عدم التحمل."[1]

ويرى بعض العلماء في تفسيرهم للتعصب أنه آلية نفسية تؤدي وظيفة خاصة تتلخص في التنفيس عما يختلج في النفس من توتّر وكراهية وعدوان مكبوت، وذلك عن طريق عملية الإزاحة والإبدال، دفاعا عن الذات وعمن تحبه. ويرى بعضهم الآخر أن التعصب يكون نتيجة لإحدى حيل الدفاع المسماة بحيلة "تحول المخاوف" لدى المتعصبين من تهديد المتعصب ضدهم لكيان وأمن ومكانة ذات المتعصبين، وهذا النوع من دوافع التعصب قد يكون في جانب منه هو الذي نلاحظ في ظاهرة التعصب الديني في أوربا إزاء الإسلام، وخاصة في يوغسلافيا وفرنسا وألمانيا والسويد والتعصب الصهيوني ضد المسلمين والعرب- كما سيأتي ذكره-

1- معتز سيد عبد الله ، التعصب دراسة نفسية اجتماعية ، ص ص 62- 65، بتصرف.

وهناك من العلماء من يذهب في تفسيره إلى اعتباره نوعاً من الأنانية وحب الذات أو النرجسية.[1]

المطلب الثالث: أنواع التعصب.

إن اختلاف البشرة في ألوانها يعطي البيض فضلا ليس للسود. وميلاد المرء فوق قطعة من الأرض دون أخرى يجعل وطنا أرقى من وطن، وتكوين جنين في بطن معين من نطفة معينة يخلق نسبة أشرف من نسبة، فإذا اصطنع أقوام من هذه الأحوال وأشباهها فروقاً يتشبثون بها، ويدورون حولها، فماذا عليهم ؟ إن العصبيات حماس يشتعل وليست حقا يضيء.[2]

ونظراً لأن التعصب أنواع ودرجات في الحدة كما هو ملاحظ فإننا سنتناول في الفروع الآتية أهم أنواع التعصب.

1- التعصب العنصري أو الجنسي :

يعتبر التعصب العنصري أي تعصب عنصري بشري آخر من أبرز وأخطر أنواع التعصب- كما هو ملاحظ-مما حدا بواضعي ميثاق الأمم المتحدة إلى التنصيص في مادته "55" على عدم الفوارق بين الناس، واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والحريات فعلاً...[3]

والتعصب العنصري هو أكثر أشكال التعصب التي نالت اهتماما نظريًّا وواقعيًّا، وقد حظيت دراسات التعصب ضد السود، سواء في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا أو في جنوب أفريقيا، بأكبر قدر من الاهتمام على أساس أنه يمثل مشكلة نفسية اجتماعية جديرة بالدراسة، فالمتصل الذي يمتد من التقبل التام للسود على أساس مبدأ المساواة، إلى الطرف الآخر الذي يتمثل في الكراهية الشديدة لهم والرفض Rejection والتأكيد على وجود مسافات اجتماعية Social

1- أحمد بن نعمان _ التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟ ، مرجع سابق، ص16، 17.
2- محمد الغزالي ، التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، دار نهضة مصر، الفجالة، مصر، ط2، 2000م، ص 8.
3- المرجع نفسه، ص19.

Distances، كان جوهر الاهتمام في أكثر من مائة دراسة جمعها "نول" J.noel كان موضوعها التعصب ضد السود.

وعلى غرار ذلك توجد عشرات الدراسات التي تصدّرت لدراسة الموضوع نفسه وجميعها يشير إلى أن السود، كجماعة عنصرية، يمثلون موضوع كراهية وعدم تحمل Intolerance من قبل جماعة الأغلبية Majority Grop البيضاء.[1]

ومما سبق يتبين أن التعصب هو عبارة عن الشعور بالنوع، وهذا الأخير ناتج عن أوهام تغرس في أذهان الناشئة في مجتمع من فئة أو جماعة نحو فئة أو جماعة أخرى يعتقد أنها مغايرة له في بعض الصفات الجسمية المعروفة، والتعصب بهذا المعنى هو فكرة راسخة في أذهان المتعصبين نحو أغيارهم أكثر مما هي تخلف حقيقي بيولوجي وحتمي في فطرة تلك الجماعات التي يمارس ضدها هذا التعصب العنصري الاستعلائي البغيض.

ومهما تكن الوسائل التي يتبعها علماء السلوك لاستئصال هذا الاعتقاد العنصري المتعالي الراسخ في النفوس وتطهير عقول الأفراد من هذا الاتجاه العنصري...لا يزال التعصب يعكس تركيباً اجتماعيًّا يتمثل في نظام الطبقات الاجتماعية والأدوار المخصصة أو المعطاة اجتماعيًّا لمختلف الجماعات العرقية أو السلالية أو العنصرية وأنماط المعايير الاجتماعية والقيم التي تبرز علاقات هذه التراتيب... وبعبارة أخرى فالناس لا يرثون العداوة وراثة بيولوجية وإنما ينشؤون عليها اجتماعيا أو يتعلمون هذه الاتجاهات نحو إخوانهم في البشرية تعلماً ويكتسبونها اكتسابا، ويمكن تحديد أهم العوامل المساعدة على هذا التعلم للتعصب العنصري في النقاط التالية:

1- التوهم بوجود اختلافات بيولوجية جوهرية بين بني البشر وغرس هذا الوهم في أذهان الناشئة ليتخذ شكل الاعتقاد الراسخ لحقيقة هذا التفوق الموهوم، ومن الأمثلة الحية على ذلك ما تقوم به العقيدة الصهيونية في فلسطين من غرس لعقدة الحقد والتعصب ضد العرب بدعوى أنهم جنس أدنى.

1-معتز سيد عبد الله ، التعصب دراسة نفسية اجتماعية ، مرجع سابق، ص21، 22.

2- قد ينتج عن هذا التعصب العنصري من المنافسة التي قد تكون سائدة في مجتمع معين بين طوائف غير متجانسة سلاليًّا-في المظهر وبالتالي اجتماعيًّا فينجر عن هذا الاختلاف الشكلي الذي يغذيه التنافس الاقتصادي والتكتل المصلحي نوع من التعصب الناتج عن الحقد والكراهية لأفراد الجماعة المنافسة سواء من الغالب نحو المغلوب أو العكس .

3- والمنافسة الاقتصادية بين فئات المجتمع الواحد إذا غذتها العوامل السلالية قد تكتسي طابع الطبقة الاجتماعية ذات المصالح المتضاربة والمتعارضة مما يزيد من حدة التعصب العنصري ويضاعف من شدة وطأته على أفراد المجتمع الواحد مثلما هو ملاحظ في نظام الطوائف المطبق في الهند حتى الآن.

4- وفي غياب أي عامل خارجي للتخفيف من هذا التعصب المعقد كظهور مصلحين مؤثرين، أو قوانين رادعة، أو دين جديد ذي طابع توحيدي وتقريبي بين الطبقات، فإن الفرجة أو الهوة بين الفئات المتعصبة ستتخذ شكل قيم تأخذ في الرسوخ – شيئاً فشيئاً – إلى أن تصبح ديناً مقدساً وتدرج في المناهج المدرسية لتكريسها – عبر الأجيال – كما هو الشأن اليوم في ممارسة وتقاليد بعض الأنظمة العنصرية الشهيرة في العالم.

5- ومما يدل على أن التعصب مكتسب وليس موروثا هو انعدام دليل فسيولوجي أو نفسي على وجود غريزة التعصب، وغاية ما هنالك أن في الأفراد استعدادات للتعصب وهذه الميكانزمات أو الآليات ليست شرًّا كلها، لأنها بقدر ما هي ظاهرة الضرر عندما تنصب أو توجه لصالح التعصب، ضد الغير، فهي أقل ضررا إلى حد ما إذا اعتبرت كحصانة ذاتية ضد التعصب– مع- وليس– ضد- كما سبق الإشارة إلى ذلك في تعريف التعصب .

وطالما أن التعصب مكتسب وليس فطريا، فهو في أقصى الحالات لا يعدوا أن يكون استعداداً يتطلب التوجيه والاستغلال لإيجاده وغرسه في جماعة ضد جماعة أخرى معينة، بوسائل إقناع تغرس في نفوس الناشئة منذ الصغر، وبالتالي فهو ناتج اجتماعي بأتم معنى الكلمة.[1]

1- أحمد بن نعمان ، التعصب والصراع ، العرقي والديني واللغوي ، لماذا وكيف؟ ، مرجع سابق، ص ص: 25- 29، بتصرف.

2- التعصب الديني :

وإذا اعتبر الدين بحق دواءً ناجعاً لعلاج التعصب العرقي فإن التعصب الديني مرض، وخطر لا يعالجه التعصب العرقي إن لم يضاعف من خطورته في بعض الحالات، وكما أشرنا في الحديث عن مظاهر التعصب، بأنه ضرب من الحماس الشديد الذي يدعو إلى الغلو والاستمساك بأي رأي أو موقف معين، فإن التعصب الديني هو الآخر لا يقف عند حد الإيمان العميق بفكرة أو عقيدة، وتطبيقها في حدود المعقول الذي لا يلحق ضررا بالآخرين...بل التعصب هو تجاوز للاعتدال في الإيمان والسلوك، والتعدي إلى نوع من الدفاع الهجومي بالحق أو بالباطل، عن هذه العقيدة، والاستخفاف بكل ما عداها من عقائد الآخرين، ورفض التحاور معهم والتسامح في تقبل مبدأ النقاش والأخذ والعطاء في إطار المبدأ القرآني﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون،6)

وقوله تعالى:﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل، 125)

ومن هذه الوجهة يعتبر التعصب الديني حالة مرضية على المستوى الفردي والجماعي، وهو يضر بالدين وأصحاب هذا الدين المتعصَّب له على حد سواء، فسلوك المتعصب دينيًّا يتميز بالنظرة الحادة الضيقة الأفق، ويتصف بالرعونة والبعد عن التعقل، والتصلب في الرأي والخضوع لسيطرة الانفعالات الجامحة والاستهانة بالقيم والعرف الاجتماعي السائد، متى كانت هذه القيم أو كان هذا العرف لا يتفق مع اعتقاده (الذي قد لا يكون بالضرورة صائباً، فيما يتعلق ببعض الأمور المذهبية الفقهية الاجتهادية على الأقل).

وإذا كان موضوع التعصب لا يتفق مع ما تواضع عليه المجتمع، فإنه يكون نتيجةً لازمةً لعدم التكيف الاجتماعي المحيط ببيئته ويؤدي هذا بدوره إلى شذوذ نفسي ينعكس في رغبة جامحة في الأحدث التي تثير المعاناة وعدم المبالاة...[1]

1- أحمد بن نعمان ، التعصب والصراع (العرقي والديني واللغوي) لماذا وكيف؟ ، مرجع سابق، ص 39، 40.

3- التعصب اللغوي:

إن التعصب اللغوي فضلاً عن خطورته في ذاته فهو ذو علاقة مباشرة بالعناصر الأخرى...والمتفاعل بين عنصرين أو ثلاثة، ونورد هنا بعض الشواهد الحية حول التعصب اللغوي، والصراع الناتج عنه كعنصر في غاية الحساسية بالنسبة لخلق الشعور القومي وبعث روح الانتماء والوفاء والولاء في نفوس الأفراد والجماعات بحسب تعصبهم لهذه اللغة أو تلك...

فرنسا نموذجا

ومن مظاهر التعصب اللغوي في هذا البلد بالذات، والذي هو انعكاس مباشر أو امتداد للصراع القائم بين الناطقين بالفرنسية والناطقين بالإنجليزية في العديد من أقطار العالم وبصفة خاصة البلاد الإفريقية المقسمة –لغويا- كما هو معلوم على هذا الأساس، فمن أوجه الصراع الحاد الدائر بين الإمبراطوريتين اللغويتين (الإنجليزية والفرنسية)، تلك الضجة التي قامت في فرنسا حول معهد (باستور)لاعتماده اللغة الإنجليزية لغة بحث دون الفرنسية...فثارت ثائرة العلماء والكتاب والصحفيين و السياسيين واعتبر الجميع هذا الخبر خطيرا جدًّا بحيث لا ينبغي ولا يمكن السكوت عنه على الإطلاق...

وعن موضوع التشبث بوحدة الثقافة ووحدة اللغة الفرنسية في الداخل والخارج ورد على لسان السيد (ميشال دوبري) رئيس الوزراء الفرنسي السابق، وعضو الأكاديمية الفرنسية في خطابه الرسمي بمناسبة تعيينه عضواً في الأكاديمية ما نصه:"يجب أن نعلم (أنه لكي تبقى فرنسا في المرتبة الأولى على الصعيد الأوروبي واتحاد الشعوب الحرة، خاصة في الوضع الراهن العالمي الذي يتسم بوضع حربي)أن الشعب الذي يعول على نفسه في بناء ذاته لا يمكن أن يقوم بهذا العمل شعب آخر بدله...وعلاوة على ما سبق، فإنه يجب تذكيركم أيها السادة بأهمية مسؤولياتكم تجاه اللغة والثقافة، لأن ثقافة فرنسا ولغتها هي تعبير عن وجدانها."[1]

1-المرجع نفسه ، ص ص 167- 169، بتصرف.

المبحث الثاني: الحوار مفهومه وأنواعه، وأسباب الصراع

المطلب الأول: مفهوم الحوار مع الآخر

نعرض في هذا المطلب لمفهوم الحوار مع الآخر لغة واصطلاحًا.

- **الحوار لغة:** أصل كلمة (الحوار) هو : (الحاء ــ الواو ــ الراء) ... وقد بين ابن فارس في (معجم المقاييس في اللغة) أن : (الحاء والواو والراء) ثلاثة أصول : أحدها لون ، والآخر الرجوع ، والثالث أن يدور الشيء دوراً[1]، والتحاور : التجاوب ، تقول : كلمته فما حار إلي جواباً ، أي : ما رد جواباً[2]
- **الحوار اصطلاحًا:** للحوار عدة تعريفات في الاصطلاح، نذكر منها التعريفات الآتية:

1. تعريف د. عبد الستار الهيتي: «أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره»[3].
2. عرّف د. خليل عبد المجيد زيادة المحاورة بأنها: «عرض لوجهتي نظر، أو هي نوع من توضيح خصائص مختلفة لأمرين»[4].
3. تعريف د. يوسف الحسن: «هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين، الأفكار، والحقائق والمعلومات والخبرات، التي تزيد من معرفة آل فريق بالآخر بطريقة موضوعية، تبين ما قد يكون بينهما من تلاق أو اختلاف، مع احتفاظ آل طرف بمعتقداته، في جو من الاحترام المتبادل والمعاملة بالتي هي أحسن، بعيداً عن نوازع

1- أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، بيروت، دار الفكر، دط، 1418هـ ،ص 287.

2- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سايق ، ج5، ص 297.

3- عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار الذات والآخر، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2004م، المحرم 1435هـ، ع 99، ص 40.

4- خليل عبد المجيد زيادة، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 1986 م، ص 18.

التشكيك ومقاصد التجريح، بل ما يرجى منه هو إشاعة المودة وروح المسالمة والتفاهم والوئام، والتعاون فيما يقع التوافق فيه من أعمال النفع العام للبشرية»[1].

المطلب الثاني : مصطلحات ذات العلاقة بمفهوم الحوار.

تتردد عند ذكر مصطلح الحوار مصطلحات أخرى كالجدل والمناظرة، فما أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه المصطلحات ومصطلح الحوار؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفرع:

أوّلاً: مفهوم الجدل لغة واصطلاحًا وعلاقته بالحوار

- الجدل لغة:«جادَل: أي خاصمه مُجَادَلَةً وجِدَالاً،والأسمر: الجَدَلُ وهو شدة الخصومة»[2].
- الجدل اصطلاحًا: «القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان»[3].

ثانيًا: مفهوم المناظرة لغة واصطلاحًا وعلاقتها بالحوار

- المناظرة لغة: « ناظرة مناظرة: بمعنى جادله مجادلة»[4].
- المناظرة اصطلاحًا: «النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب»[5]

1- يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1997م، ص 13 .

2- إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1419هـ، 1999م، ج4، ص1355، مادة (جدل).

3- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق د. عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، د ت، ص 85.

4- أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط 4، 1921م، ج2، ص841، مادة (نظر).

5- الجرجاني، التعريفات، المرجع السابق، ص260.

والمناظرة بهذا المعنى تفيد: «المحاورة بين شخصين أو فريقين حول موضوع معين، لكل منهما وجهة نظر تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، بحيث يريد إثبات وجهة نظرة وإبطال وجهة نظر خصمه، مع توفر الرغبة الصادقة بظهور الحق والاعتراف به عند ظهوره»[1].

علاقة المناظرة بالحوار: يقول د. خليل زيادة في صدد بيان العلاقة بين الحوار والمناظرة: «الحوار يضم المناظرة وغيرها: بمعنى أن المناظرة فرع من المحاورة، والمحاورة: هي عرض لوجهتي نظر، أو هي نوع من توضيح خصائص مختلفة لأمرين، بينما المناظرة محاجة فيها غالب ومغلوب بالحجة والبرهان والدليل وبإقحام الخصم في رأيه، وإبطال حجته، وهي تعتمد بالدرجة الأولى على قوة الحجة بقدر ما تعتمد المحاورة بمفهومها الأوسع على سعة الخيال وحضور البديهة والإلمام التام والشامل بأدق خصائص ما يدور الحوار من حوله من صفات ظاهرة أو خفية، ومما يدرك بالحواس أو يحاط به معنى»[2].

المطلب الثالث : أسباب انعدامه و ظهور الصراع

سؤال العلاقة بين الحضارات سؤال تاريخي ، والسؤال التاريخي لا ينبع إلاّ من واقع سيرورة التاريخ ، والإجابة عليه تتطلب العودة إلى تاريخ العلاقة بين الحضارات ، أي إلى الاستقراء للوصول إلى حكم عام يعكس خطاب الحضارة السائد الآن . أي العلاقة بين الغالب والمغلوب . فالغربي المنتمي إلى الحضارة المتفوقة مأسور في هذه الحضارة ، لأنها بالنسبة له مقياس التقدم الحضاري . وهكذا غدا الجزئي كليّاً ، بل وأصبح التقدم التقني والعلمانية ونمط الحياة الغربية المقياس الذي نقيس به الآخر . وأصبحت حياة الرفاه منطلقاً للنظر إلى حالة البؤس والكفاف التي يعيشها العالم الآخر ، وأقصد بذلك البؤس السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

أما الأسباب المنطقية للصراع فهي كثيرة ، ولكن بعضها منطقي وجدير بالملاحظة .

1-عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار الذات والآخر، مرجع سابق، ص38.

2- خليل عبد المجيد زيادة، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم ، مرجع سابق، ص 18،19.

1- اللاتاريخية

فليس ثمة وعي بالماضي . فالذي يؤجج الصراع لا يستطيع أن يترك مسافة تفصل بينه وبين الأحداث الذي وقعت في الماضي ، مهما بعد ذلك الماضي أو قرب . كل ما حدث في أي زمان ومكان هو بالنسبة إليه حاضر هنا والآن. وبناء على ذلك فإن كل ما يحدث له ، بغض النظر على زمان الحدث ومكانه ، هو حقيقة ماثلة للعيان! الجنرال اللمبي يقف على قبر صلاح الدين الأيوبي بعد مرور أكثر من 700 عام على انتهاء الحروب الصليبية سنة 1921م ليعلن : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » . القائد الصربي راتكو ملاديتش يعتبر مذبحة " سربينيتشا " لمسلمي كوسوفا انتقاماً لمعركة حدثت في كوسوفا مع الصرب سنة 1389م[1]. ألم يظهر دعاة العدوان الأمريكي على العراق النمط ذاته في اللاتاريخية ؟ ألم يفسر هذا العدوان بأنه استمرار للحروف الصليبية التي حدثت قبل 700 عام . نفس المشهد يتكرر في العراق وقبلها في البوسنة وقبلها في بلاد الشام ، نفس المنطق ونفس المقاييس . ولكن هل تهم كل هذه التفاصيل الجنرالات الذين سمعوا بتلك المعارك وشعروا بحتمية الثأر ، ولكي يثأر عليه أن يجد أحداً سواه يصب عليه جام غضبه . قد نطلق على تلك التاريخية وصف الهمجية أو عالم الوحوش . ألم يصف وزير العدل الصهيوني ما حدث في أيار 2004م في رفح بأن العالم يصفنا لما نفعله برفح بالوحوش ؟

إنها لا تاريخية تحاول استدعاء أحداث وقعت في الماضي البعيد لتضعها في الوقت الحاضر الآني . ليس بالضرورة كل الأحداث وإنما أحداثاً معينة ذات أثر بالغ في تأجيج الحقد والعداوة .

2- الجماعية الصناعية

وهي نوع من الشعور الجماعي الذي فشا في العصر الصناعي . إنها عودة إلى أشكال التفكير التي كانت سائدة في العصر القبلي أو البدائي . ولا ننكر الثورة الصناعية ، وما يرتبط بها من رؤى ومفاهيم ، وما أفرزته من أشكال جماعية أتيح لنا التعرف على أنماط تفكيرها ومسلكها من خلال الحرب العالمية الأولى والثانية ، وفي عالمنا العربي والإسلامي من خلال معاهدات سايكس بيكو ووعد بلفور ، وحديثاً

1 – محمود حسينات، الحضارة بين الحوار والصراع في عصر العولمة ، الـرائـد ، ع 251 ، ذوالقعدة 1425هـ ،ديسمبر 2004م، ص3، بتصرف

في منطقة البلقان وأفغانستان والخليج ، وستظل نتائجها ماثلة للعيان . لقد تمثلت الجماعية الصناعية في العديد من الأنظمة القومية والشمولية التي تجعل من الانتماء إلى قومية معينة أساساً للهوية الإنسانية . إن قياس إنسانية الإنسان واختزال هويّته على هذا النحو لتقتصر على أن الانتماء هو ما أفرزه منطق الإنتاج الصناعي ، حيث أن كل نسخة من سلعة ما ، وكل إنسان من قومية ما ، تتطابق تماماً مع كافة النسخ من السلعة نفسها أو من القومية نفسها ، وبالتالي يمكن استبدالها بأي نسخة أخرى ، مما أفقد الإنسان الشعور بإنسانيته وبوجوده كإنسان ، فتكونت لديه رؤى ومفاهيم متناقضة " التقدمية " ، " الرجعية " ، " الطبقية " ، " الرأسمالية " ، " الإرهاب "، " التطرف " وهكذا .. ، هذه المفاهيم تستند إلى العداء والخوف من الآخر . فأصبح يشعر أن من واجبه أن يثأر ، وأن الآخر ، هدف ملائم للثأر . " الأنا " تطابق " النحن " وكل فرد في الجماعة " نحن " متماهٍ مع " الأنا " . وكل فرد في " الأنت " متطابق مع " الأنتم " .

3- العلاقة المعارضة " إما ..... أو "

مقولة " إما معنا أو مع الإرهاب " هي التي أطلقها بوش الابن ، وهي تعني الالتزام بكل ما هو أمريكي ، وإلاّ فإن الحرب ستطاله . وهي حرب ليست ضد دولة محددة ، بل ضد شبكة ممتدة في دول عديدة ، تحددت حسب القوائم الأمريكية بستين دولة . وتستطيع الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها تحقيق عدد من القضايا منها :

- تأكيد زعامتها .
- إنهاء الحركة المناهضة للعولمة .
- إسقاط الدول المارقة .
- السيطرة على آسيا الوسطى .
- السيطرة على قوس النفط الممتد من الخليج إلى بحر قزوين .

وهي تعبير عن العلاقة المتوترة بين " الأنا " وكل الهويات الأخرى . كما يُختزل الوجود الإنساني في الانتماء إلى جماعة معينة ، تتقلص العلاقات بين الهويات الفردية لتنصهر في إمكانية واحدة . الإقصاء الكامل للآخر ، فكل ما هو سواي هو الآخر ، وكل ما هو سوانا هم الآخرون ، وفق مبدأ التناقض "

أما ... أو " . فإما أن تكون " أنت " واحد " منا " أو لا تكون مطلقاً . تلك هي العلاقة الأساسية بين الأشياء في عالم آلي التفكير لا وجود فيه للآخر .

إننا عندما نختزل كافة أشكال العلاقة الممكنة بين " الأنا " وكل الهويات الأخرى إلى شكل عدواني واحد " إما .... أو " فهذا يعني أن التصادم حتمي ولا مفر منه .

ومن الأمثلة التي توضّح هذا المنطق هو " صموئيل هنتنغتون Samuel P. Hantington " في كتابه " صراع الحضارات "الذي نادى فيه بمقولة أن مستقبل الأمم لن يتحدد من خلال النظم الاجتماعية بعد اليوم ، ولكن من خلال ما يدور بين الحضارات من صراعات دينية وثقافية نظراً لتواجد حضارات متعددة في العالم . وقد نزل هنتنغتون بنظريته إلى سوق التنظير العسكري ليسوّغ كل الحروب الوحشيّة التي تشنها الدول الاستعمارية على الدول المستضعفة ، أي على هؤلاء " البرابرة المارقين " : أو دول " محور الشر " ممن يشكلون الخطر الراهن على الحضارة الرأسمالية .

ويفسر هنتنغون قناعته بحتمية الصراع بين الحضارات المختلفة ، وأن الكراهية شعور إنساني ، وأن البشر بحاجة إلى أعداء لتعريف الذات وإيجاد الدوافع . وخلاصة هذه النظرية هي : « أن المصدر الأساسي للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون بشكل رئيسي أيديولوجياً أو اقتصادياً . وستكون التقسيمات الكبرى ضمن النوع البشري ومصدر الصراع المهيمن ثقافتها ، وستظل الدول القومية اللاعبين الأكثر قوة في الشؤون العالمية . ولكن الصراعات الرئيسية للسياسة العالمية ستحدث بين أمم وجماعات ذات حضارات مختلفة ، وسيهيمن صدام الحضارات على السياسة العالمية . وستكون خطوط الصدع بين الحضارات خطوط المعركة في المستقبل » . وبكلمة موجزة بأن مقالة " صراع الحضارات " تدعو للعودة إلى " شريعة الذئاب " ، حيث تتحول الدعوة إلى الانفتاح والعولمة إلى أيديولوجية صارمة يجب أن يخضع لها الجميع ، وإلا فإن قانون الغاب سيتكفّل بالعقاب [1].

1- محمود حسينات، المرجع السابق، ص5.

المبحث الثالث: دوافع حوار الحضارات وضروراته

المطلب الأول: الدوافع الغربية من حوار الحضارات

يرى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي أن الحاجة إلى الحوار الحضاري تأتي نتيجة المشكلة التي تكمن في أن كثيرا من الشعوب الغربية لا تدرك كيف يكون الإسلام هو البديل لنمط الحياة السائد اليوم في مجتمعاتهم، وهنا يجب على المفكرين والدعاة المسلمين الذين يعيشون في الغرب وكذلك على المراكز الإسلامية هناك دخول الحوار مع أتباع الحضارات لتحقيق الواجب بتعريف الشعوب والمؤسسات الغربية بمحاسن الإسلام وحلوله لمشكلاتهم في البيئة والنظم السياسية والقانونية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية والأسرة وحقوق الإنسان. فبيان حقيقة الإسلام في هذه القضايا، وأنه الدين الذي يحترم كرامة الإنسان، فيما شرع الله له من حقوق وواجبات، وأنه الدين الذي يقف مع المظلومين الفقراء والعمال، ويعطي المرأة حقها، يحقق مكاسب للإسلام ودعوته[1]، وينفي الاعتقاد السائد لدى بعض المفكرين من الغرب أن الصراع بين الإسلام والغرب هو في الأساس صراع حضاري بسبب تعاليم القرآن والسنة لدى المسلمين، باعتبار أن الإسلام يفرض على المسلمين جهاد غير المسلمين، ورفع السيف لقتالهم حتى يسلموا[2]، كما يجب استثمار فرصة تواجد تيار في الغرب يطلب الحوار، وهو تيار عقلاني يمثله خطاب ولي العهد البريطاني في افتتاح المركز الإسلامي في روما، فهناك تيار موجود يحتاج منا إلى أن ندرسه ونشجعه على هذه الايجابية، وهذا التيار ينطلق من حقائق منها أن عودة الاستعمار القديم مستحيلة وأنه لا بد من إيجاد صيغة للتعايش، وأنه إذا كان المقصود خدمة المصالح المشتركة والتبادل الثقافي والحضاري فهذا ممكن دون حروب ومن خلال الحوار الحضاري.

أما عن موقف المشككين من حوار الحضارات فهم يرون في حوار الحضارات بمثابة استجابة عربية

1-كلمة عبد الله بن عبد المحسن التركي، في الإسلام وحوار الحضارات، تص: جعفر عبد السلام، مصر، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ،2002، ط1، ص 15.

2-جعفر عبد السلام، نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر، في الإسلام وحوار الحضارات، تص، جعفر عبد السلام، مصر، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ،2002، ط1، ص33.

لطرح غربي، فهو رد فعل وليس فعلا، حيث يسعى الغرب من خلال هذا الحوار الموجه والدقيق (يستهدف الجانب الثقافي والقيمي من خلال التركيز على مواضيع محددة مثل الحريات وحقوق الإنسان وموقف الإسلام منها) إلى تحقيق إحدى الغايات التالية:

حوار الحضارات كوسيلة لتحقيق الإصلاحات السياسية والاقتصادية: في إطار تعميم النموذج القيمي الغربي (وفقا لطرح فرانسيس فوكوياما حول نهاية التاريخ وخاتم البشر) الذي يعتبر النموذج المنتصر في صراعه مع النموذج القيمي الاشتراكي، ونمط المعيشة الأمثل الذي يجب أن تقتدي به الشعوب غير الرأسمالية، اغتنمت الدول الغربية الفراغ القيمي الذي خلفه انهيار المعسكر الاشتراكي، ليحاول تعويضه بنمط القيم الغربية، من خلال رفعه لشعار الإصلاحات السياسية والاقتصادية والثقافية التي يجب على شعوب عالم ما بعد الحرب الباردة الاقتداء بها، ولهذا يعتبر حوار الحضارات الوسيلة الأمثل لتمرير مثل هذه المشاريع الإصلاحية.

حوار الحضارات كحل وقائي لظاهرة الإرهاب الدولي: في محاولة لفهم جذور الإرهاب والعنف الذي اتهم بممارسته المسلمون جاءت الدعوة لحوار الحضارات ومحاولة إيجاد حلول لهذه الظاهرة، التي يعتقد الغرب أن مصدرها القيم الثقافية والدينية التي تحتويها الحضارة الإسلامية.

المطلب الثاني: حاجة العرب والمسلمين للحوار

الدافع من وراء حوار الحضارات لدى المسلمين هو دافع دعوي بمفهوم الدعوة الواسع، يشمل تعريف غير المسلمين بالمبادئ العامة التي حددت نظرة الإسلام للإنسان، وحقه في الكرامة والعيش، في دين الإسلام هو دعوة عالمية[1]، مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلناسِ بَشيرا ونذيرا وَلِكنَّ أَكثرَ الناس لا يعلمون﴾ (سبأ 28).

فالمجتمع الإنساني اليوم لا سيما المجتمع الغربي يقع تحت سيطرة الحضارة الحديثة والمعاصرة، جاهلية أعظم خطرا وأشمل دمارا للإنسانية من جاهلية القرون الأولى والوسطى، وصلت نتائجها وآثارها إلى المجتمعات الإسلامية عبر رياح العولمة من وسائل اتصال، وبما أن الأمة الإسلامية أمة تحمل

1-عبد الله بن عبد المحسن التركي، كلمة في الإسلام وحوار الحضارات، تص، جعفر عبد السلام ، مصر، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ،2002، ط1، ص 14.

مسؤولية كبرى تجاه البشرية وتأخذ على عاتقها إنارة الطريق أمام الإنسانية، فهي تريد أن تساهم مساهمة فعالة ومثمرة في إنقاذ البشرية بمختلف حضاراتها وأدياتها من الدمار الأخلاقي والعمراني مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة 143) والأمة الإسلامية مؤهلة إن التزمت بإسلامها لأن تكون قائدة التوازن لإنقاذ البشرية مما تعانيه من إفراط وتفريط في حياتها[1].

وفي إطار التأكيد على الوظيفة الحضارية للأمة العربية الإسلامية يستدل الدكتور طه جابر العلواني (رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن)،-رحمه الله- بآيات من سورة الكهف، من خلال قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) ﴾ (الكهف: 32-39).

حيث يشير إلى أن فعل الحوار قد تكرر مرتين في هذه الآيات السبع في عرض العلاقة بين الغني والفقير أو بين الظالم المتغطرس والمؤمن ال ارضي، وأن العلاقة بين هذا وذاك ليست

وفي هذا الإطار يتساءل المفكر مراد هوفمان نقلا عن جلال احمد حول جدوى الحوار بقوله: "لماذا يضطر الغرب إلى أن يحمل على محمل الجد ثقافة بلدان قد تحولت بالفعل إلى صور هزيلة غربية مهجنة، ألم يتحول الحوار الثقافي بين الشمال والجنوب إلى طريق إعلامي أحادي الاتجاه و إلى لعبة اتصالات وإعلام سبق أن خسرها المسلمون؟ ألم يتمخض هذا الوضع عن تمثل المسلمين بطريقة شاملة للأفكار والمناحي الغربية التي تسيطر الآن على حياتهم أيضا؟ أليس العالم الإسلامي ضحية

1-عباس مهاج اربي، لماذا الحوار وبماذا نحاور الآخرين من أصحاب الحضارات المعاصرة، ورقة مقدمة إلى الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، بعنوان المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، المنعقد بالأردن ما بين 5-7 جويلية 1995، ص 115.

الآن بالفعل لوباء اسمه التغرب المفرط "، للمزيد أنظر مراد هوفمان، المسلمون وحوار الحضارات في عالم اليوم، ورقة مقدمة إلى الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، بعنوان المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، المنعقد بالأردن ما بين 5-7 جويلية 1995.

علاقة صراع أو عداء يحاول كل طرف أن يكسب فيها المعركة، و إنما هي علاقة حوار يحاول فيه الذي هو على حق أن يقنع الآخر بالحسنى والموعظة الحسنة (بينما نلاحظ في الفكر الغربي، الماركسي منه وغير الماركسي، أن العلاقة بين الغني والفقير هي علاقة صراع وعنف ديالكتيكي مستمر)[1]. ولهذا يحاول المحاور المؤمن إنقاذ الطرف الآخر من الهلاك ويريه الطريق المستقيم عملا بواجب الدعوة والنصيحة وذلك من خلال الآية 39، فحالة الغرب اليوم بطغيانه المادي وتملكه القوة التكنولوجية المتطورة ووسائل الدمار الشامل تشبه حالة المحاور الكافر صاحب الجنتين، وحالة المسلمين في ضعفهم وتأخرهم عن ركب الحضارة الغربية كحالة المحاور المؤمن من الرجلين مع فارق كبير، حيث أن المسلمين اليوم ليس لديهم تلك الثقة بالله والاعتزاز بالتوحيد والصمود والإخلاص وقوة النفس التي كان المحاور المؤمن يتصف بها[2].

ومع أن الغرب لا يخضع لأي حوار ولا يستجيب له إلا لتحقيق مصالحه واستيعاب ما يمكن من المنافع المادية أكثر فأكثر، أو لدفع مفاسد وأضرار تهدد كيانه أو أمنه، نتيجة ضعف يصيبه في إحدى نواحي كياناته الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، لكننا نحاور ونقترح عقد المؤتمرات في مختلف المستويات لأننا أمة الدعوة إلى الخير وبذلك أمرنا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكر وأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: 104).

بالإضافة إلى دافع الدعوة هناك دوافع أخرى تستدعي حوار المسلمين مع غيرهم من شعوب الحضارات الأخرى، فالحوار هو فهم للذات من خلال الآخر، وفهم للآخر من خلال الذات، أي التعرف على الأنا الموضوعية التي يراها الآخرون مقابل الذاتية التي نراها نحن، وهو محاولة للتعمق في هوية كل ثقافة وفهمها، والغرض من ذلك هو تجنب سوء الفهم الذي يؤدي إلى العداوة التي غالبا

1- طه جابر العلواني، الأبعاد المعرفية لحوار الحضارات، ورقة مقدمة إلى الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، بعنوان المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، المنعقد بالأردن ما بين 5-7 جويلية 1995، ص108.

2-المرجع نفسه، ص 112.

ما يكون مصدرها الجهل بالآخر وسوء فهمه[1].

كما يؤكد أنصار الحوار أنه السبيل الوحيد لتجنب الصدام الحضاري، كما يهدف لمنع الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة من فرض هيمنته الإيديولوجية، من شأنه أن يساهم في خلق مجتمع عالمي جديد يكون أكثر إنسانية .

المطلب الثالث : دوافع متعلقة بالوضع الدولي الراهن

من خلال تمعن الواقع الدولي المعاصر نجد أن الناس اليوم أكثر تحركا والحدود تجتاز بسهولة، فصارت الكثير من البلدان تتحول إلى التعددية العرقية مع هجرة الناس في كل الاتجاهات سعيا وراء حياة أفضل، وأن العالم يتضاءل حجما من الناحية المجازية، فقد أجبر الطيران السريع والاتصال الهاتفي الفوري واللاسلكي كل البلدان والشعوب وثقافتها على الاتصال الوثيق مع بعضهم البعض، وما لم يوجد تفاهم وتحمل أكبر للاختلافات الهائلة بين الشعوب في اللون والديانة واللغة والثقافة، فلا بد أن تحدث صراعات قد تؤدي إلى حروب[2]. وهذا ما أكده تقرير نادي روما لسنة 1979 على أن القيم الحضارية والثقافية كان لها دور جوهري في الص ارع بين الشمال والجنوب، حيث أعلن هذا التقرير على أن "الهوية الثقافية والدولية، تشكل مصد ار متناميا للتراعات الاجتماعية والدولية...ويمكن أن تكون مصد ار من مصادر الصراع المتزايد داخل المجتمعات، وبين مجتمع وآخر..."[3]. وفي عالم يعتبر فيه تزايد الصراعات ذات الصبغة العرقية والدينية تهديدا للأمن والسلم الدوليان ، والجهل وسوء فهم الآخرين وثقافتهم تؤدي إلى صدام الجهالات، يعتبر حوار الحضارات و الاطلاع على ثقافة الآخرين إحدى الركائز الأساسية لحفظ الأمن والسلم الدوليان .

كما يعيش عالم اليوم عصر العولمة التي أسهمت في تدفق الأفكار والسلع والخدمات عبر البلدان وبين الشعوب، وتتزع العولمة إلى توحيد العالم في مختلف مجالاته السياسية والاقتصادية والثقافية، وهو

1-شراد فوزية ، الحوار والتواصل عند يورغن هابرماس، عالم التربية ، ع 17، 2007، ص117.

2- احمد يوسف القرعي، العولمة وصدام الحضارات، قراءة في فكر مهاتير محمد، القاهرة، مكتبة الشروق ،2005، ص ص 73،72.

3-المهدي المنجرة ،حوار التواصل، عالم التربية، ع 17، 2007،ص: 46.

توحيد يحمل مخاطر جدية تهدد بإلغاء التنوع الثقافي، وانقراض الشعوب والأمم وذوبانها في النموذج الغربي المسيطر[1]، ويرى عبد الله تركماني أنه في عالم تتحول فيه الحدود السياسية للدول إلى مناطق سلام وتبادل المصالح وتتداخل فيه
الثقافات الوطنية، يستوجب الحديث عن واقع التعددية الثقافية وانعكاساته سياسيا ووطنيا التوقف أمام الأمور الثلاثة الآتية:

– تحوّل القضايا الداخلية الوطنية (مثل: حقوق الأقليات، وحق الأفراد، وحرية العبادة وسواها) إلى قضايا خارجية عالمية، وكذلك تحوّل القضايا العالمية (مثل: السلام والتنمية وحركة رؤوس الأموال والاستثمارات والخدمات وتبادل السلع) إلى قضايا داخلية تمس صميم الاقتصاد الوطني والأمن الاجتماعي.

– القرار الوطني في دولة ما لم يعد ملكا لأصحابه فقط، ولكنّ عملية اتخاذه باتت جزءا من عملية أوسع تلعب فيها عناصر ما وراء الحدود الوطنية دورا أساسيا، كما أصبح الممثلين المنتخبين المكلفين بإدارة أمور دولة ما، رهينة نظام عالمي له حساباته ومصالحه وقوانينه الخاصة التي لا تلتقي بالضرورة مع المحلي – الوطني منها، بل التي كثيرا ما تتناقض معها أيضا.

– انحسار فرص المحافظة على التنوع الثقافي وتآكل المساحات الوطنية التي توفر لهذا التنوع قوة استمراره، وأنّ الشعور بالاختناق الذي بدأت تعاني منه ثقافات متعددة يعود إلى هيمنة ثقافة واحدة على العالم ومحاولة فرض قيمها واعتماد هذه القيم مقياسا للتخلف أو للتحضر[2].

ويرى السيد محمد الشاهد أن الرغبة القوية للحوار جاءت نتيجة يأس الإنسان المعاصر من الوصول إلى أهدافه المشروعة أو غير المشروعة عن طريق العنف، و لم تكن نتيجة لميل أو تطور طبيعي

1–ندوة الخبراء العرب لصياغة موقف عربي وإسلامي في الحوار، المنعقد بأبوظبي، من 4 إلى 7 جانفي 2006، ص2، متاح عبر موقع http://doc.abhatoo.net.ma/IMG/pdf/alecso30.pdf

2–عبد الله تركماني، سبل نجاح حوار الثقافات في عالم متغير، ندوة " التراث العربي والحوار الثقافي " ،من 23 ــ 25 ،11،2005، جامعة تونس، متاح عبر موقع http://www.mokarabat.com/s1011.htm تاريخ الزيارة،18،04،2018.

حميد في عقلية الإنسان المعاصر[1]، كما تضيف الدكتورة نادية محمود مصطفى أن الحاجة للحوار تنبع من تنامي العناصر المتطرفة في كل حضارة، إذ أن تموضع كل ثقافة حول العناصر المتطرفة (التي تتميز بالنسبية الأخلاقية والنسبية الثقافية والتي تنكر شرعية الثقافات الأخرى أو تنكر جانب القيم المشتركة بين الثقافات مثل الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة) التي تزعم تمثيلها لتلك الثقافة وتمارس العنف ضد

أصحاب الثقافات الأخرى، وهو الأمر الذي يؤدي إلى إشعال نيران الغضب لدى قطاع كبير من أبناء وشعوب هذه الثقافات الأخرى، ومن ثمة فإن منطق الفعل ورد الفعل يؤدي إلى الانزلاق إلى صراع الحضارات[2].

1-السيد محمد الشاهد، المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار، القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،2001، ص6.

2-نادية محمود مصطفى، وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، ط1، القاهرة، دار السلام ،2004، ص 12.

الفصل الثاني:

صور ومظاهر التعصب الغربي ضد الإسلام

المبحث الأول:

أحداث 11سبتمبر2001 نقطة تحول في علاقة الغرب بالإسلام

المبحث الثاني:

المستشرقين، دوافعهم وأهدافهم

المبحث الثالث:

صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية والمقررات المدرسية

المبحث الرابع:

اليمين المتطرف ودوره في تصعيد حملة الكراهية ضد المسلمين

المبحث الخامس:

الخطاب الغربي بعد احداث 11 سبتمبر 2001

تمهيد

لا شك أن التعصب المسيحي ضد الإسلام والمسلمين في تجلياته الكثيرة ليس أمراً عبثياً لا سبب له ولا دافع، فهو لم يكن- في يوم من الأيام- منطلقاً من فراغ، ولا منبعثاً من لا شيء؛ بل الحقيقة أنه قد اجتمعت جملةٌ من الدوافع والمحفزات لقيامه، فغذته وضخمته حتى خرج على العالمين واضحاً غير مستتر، وطفا على سطح العلاقة الإسلامية- المسيحية على مَرّ العصور.

ويعتبر المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني مجلس 21 (1962-1965) المعترف بها من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، رمزا للانفتاح الكنيسة على العالم الحديث، والذي اعترف بالإسلام وأدخل المسلمين في دائرة الإيمان ودعا الى الحوار معهم و التعايش بين الشعوب و الأديان، إلا أن ممارسات الأنظمة الغربية و الحروب التي تشنها ضد المسلمين أدى إلى تحريك جراح الماضي و ذكرى الحروب الصليبية و الاستعمارية كالحرب على العراق و أفغانستان و إيران و محاصرة ليبيا .. و كل ذلك و ما يحدث في فلسطين من مساندة سافرة للإرهاب الصهيوني، فكانت ردة فعل متطرفة و قد لعبت أحداث 11سبتمبر 2001 حجة و ذريعة لمواصلة تلك الأنظمة لسلوكها العدواني و المتعصب ضد الإسلام و المسلمين

كل هذا جعل من رجال الدين المسيحيون في الغرب في الماضي و الحاضر ينظرون الى الإسلام إلاّ وفق الرؤى الاستشرافية، فاعتبروا الدين التوحيدي من عمل الشيطان، و دين عنف و تطرف و إرهاب..

المبحث الأول: أحداث 11سبتمبر2001 نقطة تحول في علاقة الغرب بالإسلام

كان لأحداث 11 سبتمبر 2001 أثر سلبي على الحوار الإسلامي-المسيحي، وذلك بعد اتهام المسلمين بالتخطيط وتنفيذ هذه التفجيرات، بل أبعد من ذلك أصبحت أصابع الاتهام توجه إلى الإسلام كدين متطرف يحرض على العنف والقتل، وهو الموقف الذي أشار إليه القسيس فيجيرالد Fitzgerald – رئيس المجلس البابوي للحوار ما بين الأديان بقوله :" أنه منذ أحداث 11 سبتمبر أصبح العالم الإسلامي مخيفا، فالحرب على الإرهاب تشير دائما إلى مكافحة التطرف الإسلامي أو إلى الإسلام بكل بساطة. وبذلك أصبح المسلمون في وضع اعتذاري دفاعي من أجل دفع التهمة عنهم، وتصحيح الصورة المشوهة. غير أن ذلك لم يمنع قادة الطائفتين المسيحية والإسلامية من متابعة جهود الحوار، بل أصبح الحوار في ظل هذه الظروف ضرورة حتمية تتطلب تكاثف كل الجهود من أجل مواجهة موجة العنف والتوتر القائم بين الشباب من كلا الطائفتين [1].

ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر 2001 كان أهم حدث بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام 1991 على الإطلاق، و كان نقطه تحول كبرى اعطى قوة دفع هائلة للمشروع الامبراطوري الأمريكي، الذي لا يريد أن يسمح بظهور أية قوة أخرى منافسة في العالم مثل الصين أو الاتحاد الأوربي على مدى العقود القادمة على الأقل هذه الاحداث التي سهلت مهمة السيطرة على أفغانستان و ما سيتبعها من سيطرة نفطية و نفوذ و إقامة قواعد عسكرية في المنطقة المحاذية للصين ودول الاتحاد السوفيتي السابق و كذلك سهلت هذه الاحداث عملية غزو العراق و السيطرة على نفطه و ثرواته[2]

لقد مثلت الأحداث نقطة تحول في السياسة الأمريكية اتجاه العالم. وفي هذا اليوم عرفت الولايات المتحدة تضامنا عالميا لم يسبق لها أن شهدت مثيلا له، لجهة الاستعداد لتقبل قيادتها في مواجهة الإرهاب في العالم. وكان يمكن للإدارة الأمريكية أن تفيد من هذا التأييد في توليد أوسع جبهة عالمية

1 – مرسي مشري، دور مسلمي أوربا في تفعيل حوار الحضارات دراسة حالة مسلمي فرنسا ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر 3، ص :267

2 – مركز الكاشف للمتابعة و للدراسات الاستراتيجية، أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 أهم واخطر حدث في القرن الواحد والعشرين و نقطة تحول عظمى في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، ص 2، مارس 2005

لمكافحة الإرهاب، لكنها أعلنت نفسها فوار المسؤولة الوحيدة عن مكافحة الإرهاب، وحددت جملة مبادئ وقواعد جديدة في العلاقات الدولية كان أبرزها إمكان إعلان حرب وقائية تشنها الولايات المتحدة في أي مكان في العالم ترى فيه تهديدا لأمنها، واستخدام كل الوسائل بما فيها التدخل العسكري وتغيير الأنظمة السياسية القائمة، واستحداث "قيم أخلاقية" تصنف الدول على أساس الخير والشر، وتكريس قاعدة: "من ليس معنا فهو ضدنا".

وقد تكاملت الجهود الدولية من الولايات المتحدة لمحاربة الإرهاب، حيث عرضت 136 دولة مساعدات عسكرية عليها، ومنحت 39 دولة حق التحليق للطائرات العسكرية الأمريكية في أجوائها، ومنحت 76 دولة حق الهبوط لهذه الطائرات، ووافقت 23 دولة على استضافة القوات الأمريكية في المجهود الحربي، وانضمت كل من اليمن والفلبين وجورجيا لتقديم تدريب عسكري لقوات مكافحة الإرهاب، بالإضافة إلى الوجود العسكري الأمريكي في خمس دول بوسط آسيا، وهو ما يؤكد عولمة الحرب عسكريا وانتقالها من مكان إلى آخر.

وانتهزت الولايات المتحدة وقوع أحداث سبتمبر لتواصل مسيرتها الأحادية وقامت بدعاية تروج لحربها وهيمنتها على العالم ارتكزت على المبادئ التالية:

إظهار أن أمريكا لا تريد الحرب، ولكن اخرين هم الذين يضطرونها إلى ذلك، ولذلك فهي في حالة دفاع شرعي عن النفس.

شخصنة العدو، فالآخر أو العدو شخص كاذب ومريض وكاره لشعبه، ومن ثم يجب التخلص منه وانقاذ العالم من شروره (حالة الرئيس العراقي السابق صدام حسين).

إبراز الدوافع الإنسانية للتدخل الأمريكي، وتجاهل الأسباب الحقيقية للتدخل، والتي غالبا ما تكون اقتصادية بالأساس [1].

المبحث الثاني: المستشرقين، دوافعهم و أهدافهم

1 –شاهر إسماعيل الشاهر، أولوية السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001 ، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2009،ط1، ص 9.

المطلب الأول : الاستشراق لغة و اصطلاحاً

الاستشراق لغة

الاستشراق Orientalism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما [1].

الاستشراق اصطلاحاً

استشرق طلب علوم الشرق و لغاتهم " مولدة عصرية" تقال لمن يعني بذلك علماء الفرنجة، و المستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق و لغاته و آدابه [2].

ويطلق لفظ الاستشراق على فئة من العلماء من الغرب أو الشرق، أي: من أمريكا وأوروبا وروسيا، كرَّست وقتها أو بعضه وجهدها لدراسة تراثنا وأدبنا لأغراض متعددة، وكان سبل اتصالهم بنا وبتراثنا بإحدى طرق ثلاث: الأندلس قبل سقوطها بأيديهم وبعد السقوط، والحملات الصليبية، واستعمارهم بلادنا [3].

فالاستشراق حركة فكرية ثقافية تستخدم للدلالة على الكتابات البحثية في مختلف أنواع العلوم والمعارف التي أنجزها المتخصصون بدراسة الشرق سواء كانت هذه الدراسة موضوعية أو ذاتية تخدم أغراض غير علمية فهناك استشراق علمي هدفه تحصيل المعرفة العلمية عن الشرق عامة والعالم

1 –مانع بن حماد الجهني ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1420 هـ، ج 2، ص 687 .

2 –يحي مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2004 ,، ط 1، ص 7 .

3 –عفيف عبد الرحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط 1 ، ت 1987، ص 27.

الإسلامي خاصة من أجل العلم ذاته ة بدون الخضوع لأهداف أخرى، و كثيرا ما يكون الدافع إلى المعرفة الاستشرافية دافعا ذاتيا يخدم أغراض ذاتية سواء كانت شخصية أو حكومية [1].

المطلب الثاني : دوافع المستشرقين وأهدافهم

باستطاعتنا أن نتلمس دوافع المستشرقين وأهدافهم من أعمالهم ، ومما حققوه من أهداف ، ومن النظرات التاريخية إلى واقع حال الدول الغربية ، قبل أن تنبت فيها نابتة الاستشراق ، وإلى واقع حالها بعد ذلك ،ومن النظر إلى صلة الاستشراق بالتبشير بالنصرانية ، وإلى صلته بالاستعمار .

وفيما يلي خلاصة عن دوافعهم وأهدافهم مع العلم بأن الدوافع تلتقي مع الأهداف ،باعتبار أن الدافع يمثل المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف الغائية من العمل .

الأول: الدافع الديني أو المذهبي ضد الإسلام والمسلمين

واتجه هؤلاء للطعن في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه بغية إقناع جماهيرهم التي تخضع لزعاماتهم الدينية بأن الإسلام دين لا يستحق الانتشار ، وبأن المسلمين قوم همج لصوص سفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر ، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة بالنصرانية عند الغربيين ، وأخذ تشكُّكُهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم يزداد ، فلم يجدوا وسيلة أجدى من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة . وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ، ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات الإسلامية العثمانية في أوربا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف شديد من قوة الإسلام ، ومن كره لأهله ، فاستغلوا هذا الجو النفسي ، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية .

---

1 –ملوكي جميلة، الاستشراق في بلاد المغرب الإسلامي ، مجلة الانسام و المجتمع، العدد 2،الجزء الثاني، ديسمبر 2011 ، ص 98.

فهدف هذا الدافع : هو إخراج المسلمين عن دينهم ، فإن أمكن تنصيرهم فذالك ، وإلا فإبقاؤهم لا دين لهم مطلقاً هدف مرجو يحقق للنصارى منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية وغير ذلك .

ولإخراج المسلمين عن دينهم وسائل كثيرة ، منها:

1- تنفير المسلمين من دينهم وحملهم على كراهيته .

2- تشويه الإسلام ، والتشكيك في أسسه ، وتوجيه المطاعن له.

3- تشويه التاريخ الإسلامي ، وتشويه حضارة المسلمين ، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث .

4- نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها ، وبعث الطوائف الضالة والحركات الهدامة القديمة .

5- تزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام .

للنفوس ، ومرضيات للأهواء ، وآسرات للشهوات ، وباهرات للنظر .

7- ادعاء أن الفقه الإسلامي مقتبس من القانون الروماني .

8- ادعاء أن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري .

9- الدعوة إلى نبذ اللغة العربية وتبديل طريقة كتابتها [1].

الثاني: الدافع الاستعماري

عندما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وفشلهم، وهي في الحقيقة حروب استعمارية وإن كانت كحروب دينية لم ييأس الغربيون من العودة الى احتلال بلاد الإسلام والعرب فاتجهوا الى دراسة هذه البلاد، وجندوا لها علماء بارزين يبحثون عن كل شأن من شئونها من عقيدة وتقاليد

1 -بد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير – الاستِشراق – الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، دار القلم ، دمشق ، ط 8 ، تـ 1420 هـ ، 2000 م ، ص 127- 129.

وعادات واخلاق وثروات وغيرها، ليتعرفوا الى موطن القوة فيضعفوها، والى مواطن الضعف فيستغلوها [1].

ثم لما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية ، كان من دوافع الدراسات الاستشراقية الرغبة بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين ، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم ، وكان لهم في ذلك وساوس كثيرة ، تسللوا بها إلى نفوس أبناء المسلمين ، ومن هذه الوساوس ما يلي :

1 – التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث ، وبما عندهم من عقيدة وشريعة وقيم إنسانية.

والغرض من ذلك أن يفقدوا ثقتهم بأنفسهم ، ويرتموا في أحضان الغرب ، يستجدون منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ والعقائد والحلول لمشاكلهم الحياتية والعادات والتقاليد وأنواع السلوك ليتم للغرب بذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعاً كاملاً .

2 – إحلال مفاهيم جديدة ، أو إحياء مفاهيم ماتت منذ تمكن الإسلام من قلوب المسلمين ، كالقوميات الفرعونية والفينيقية والآشورية والعربية الكردية والتركية والفارسية ونحو ذلك ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة ، التي تجمعها رابطة واحدة ، هي وحدة الدين الذي يهيمن على جميع مشاعر الإنسان الداخلية وسلوكه الظاهر .

وللاستشراق الذي يقوم به الشيوعيون دافع مشابه ، وهو دافع يطمع بالتسلط الكامل على بلاد المسلمين

ومن خلال معرفتنا لهذا الدافع نستطيع معرفة الهدف الغائي المرتبط به .

فهدف هذا الدافع : هو السيطرة على بلدان العالم الإسلامي ، وعلى الشعوب الإسلامية ، طمعاً باستغلال الأرض واستعباد الناس والسيطرة على كل شيء وسيلة لتحقيق أهواء النفوس وشهواتها ،وأن يكن لها العلو في الأرض [2].

1 –شاكر عالم شوق، الاستشراق اخطر تحد على الإسلام، دراسات الجامعات الإسلامية العالمية شيتاغونغ، مج 3، تـــ ديسمبر 2006، ص 68.

2 –بد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، المرجع السابق ، ص 129، 130.

الثالث: الدافع التجاري أو الاقتصادي

ومن الدوافع التي حرضت كثيراً من الغربيين على الدراسات الاستشرافية رغبتهم بغزو البلاد الإسلامية غزواً اقتصادياً ،يهدفون فيه إلى الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة والاستيلاء على الثروات الأرضية واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان وإماتة الصناعات المحلية القديمة ، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية .

وضمن هذا الدافع وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية ، من يهتمون بالدراسات الاستشراقية ، ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية أو أبدت استعدادها لاستخدام من يعمل لهم في هذا المجال ، فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات ، طمعاً بأن يجدوا أعمالاً لهم لدى المؤسسات الاقتصادية .

فهدف هذا الدافع : تحصيل الأموال والمطامع الاقتصادية

الرابع: الدافع السياسي

قبل الاستعمار وبعد تحرر البلاد الإسلامية منه رأت الدوائر الاستعمارية أن حاجتها السياسية تقضي بأن يكون لها في قنصلياتها ، وسفاراتها ومندوبيها في الأمم المتحدة وسائر المؤسسات الدولية ، من لديهم زاد جيد من الدراسات الاستشراقية ، ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة مرتبطة بالشعوب الإسلامية ، وبلدان العالم الإسلامي ، ومنها ما يلي :

1 – الاتصال بالسياسيين والتفاوض معهم ، لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم .

2 – الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم .

3 – بث الاتجاهات السياسية التي تريدها دولهم ، فيمن يريدون بثها فيهم ، وإقناعهم بها .

4 – الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية.

وكم بثَّ حاملو هذا الدافع في شعوب المسلمين من أفكار؟! وكم دسوا من دسائس؟! وكم استخدموا من أجراء لإثارة الفتن وإقامة ثورات وانقلابات عسكرية؟!.

ومن خلال معرفتنا لهذا الدافع نستطيع معرفة الهدف الغائي المرتبط به .

فهدف هذا الدافع : تحقيق غايات سياسية ، تريد تحقيقها الدول الموجهة لهذا النوع من الدراسات لتسيير دول العالم الإسلامي في أفلاكها .

الخامس : الدافع العلمي .

ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الدراسات الاستشرافية بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يدسوا أو يحرفوا .لذلك جاءت بحوث هؤلاء أقرب إلى الحق ، وإلى المنهج العلمي السليم ، من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل منهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام ، وآمن به ، وانتمى إلى الأمة الإسلامية[1].

ومن هؤلاء المستشرق الفرنسي " دينية " الذي عاش في الجزائر، أعجب بالإسلام أعلن إسلامه عام 1927م، وسمي باسم " ناصر الدين دينية" وألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وله كتاب " أشعة خاصة لنور الإسلام" بين فيه تحايل قومه على الإسلام ورسوله وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه الى الجزائر ودفن فيها [2].

المبحث الثالث : صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية و المقررات المدرسية

يستقي الانسان معلوماته عن البيئة الاجتماعية التي يتفاعل معها من عالمين اثنين، أحدهما العالم الحسي، القريب منه بفضل حواس الخمس، التي وهبه الله إياها، فيرى الآخر بتوظيف حاسة البصر، و يستمع إليه بفضل حاسة اسمع و يتواصل معه شفويا بحاسة الكلام و الخطاب، و يشم رائحة العوالم المحيط به باستعمال حاسة الشم، ويتذوق ما طاب منها أو كره بحاسة الذوق ، أما العالم الثاني فهو العالم الأوسع و الأرحب الذي نعجز حواسه الحمس عن إدراكه، و الانسان جبل على عدم قدرة حواسه على الاتصال مباشرة بالفضاء و العالم المترامي الأطراف، فإمكانياته وقدراته الحسية قاصرة و عاجزة عن إدراك ما يحدث و يجري في مناطق أو نواح تبعد عنه مسافة و فضاء، لذا يلجأ إلى

1- المرجع نفسه، ص 130 -132 .

2- شاكر عالم شوق ، المرجع السابق ، ص 70 .

استقاء معلوماته بوساطة وسائل الاتصال و التفاعل الاجتماعي، فيتصل بفضاءات و عوالم خارجية ولو تناءت بالاعتماد على وسائل الاتصال، التي تقرب البعيد، و تدني النائي [1].

المطلب الأول: الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين في الغرب في وسائل الإعلام

يقصد بالصورة الذهنية ما يتشكل في ذهن المتلقي للرسالة الإعلامية عن موضوع ما، وذلك يكون محصلة لما تقدمه هذه الوسائل الإعلامية من أخبار ومعلومات ومواقف عن موضوع بعينه قد تكون مختلفة أو كاذبة جملة وتفصيلا أو مشوهة لا تلتزم بالموضوعية أو تكون نتيجة جهل وعدم التدقيق في المعلومات التي تطرحها هذه الوسائل الإعلامية .. ويكاد ينعقد الرأي بين جمهور الباحثين على أن الصورة النمطية عن الإسلام في الغرب أنه مصدر الفكر المتشدد للعرب. وهو ما يؤدي بالشباب العربي إلى الإرهاب !! ويقف الإعلام الغربي عن هذه الصورة السلبية المزيفة عن العرب ولا يتجاوزها إلى الكشف والإعلام والتنوير عن الجوانب الإيجابية الأخرى لهذه الأمة الإسلامية ولدينها الحضاري الذي يتميز بقيمه العظيمة وتشريعاته الرائعة النابعة من نقاء العقل والقلب معا فالقيم الحضارية لهذا الدين الإسلامي العظيم غائبة تماما في الإعلام الغربي الذي استطاع أن يكرس للمشاهد الغربي ثقافة مغلوطة عن الإسلام والمسلمين [2].

و يصنف المسلمين حسب الكاتب الأمريكي جاك شاهين الأستاذ في قسم الإعلام في جامعة southern illinois في كتابه : "المخادعون" : العرب في وسائل الإعلام الغربية، إلى أربعة تقسيمات : شيوخ نفط مترفون، إرهابيون قاذفو قنابل، تجار جشعون، أشرار ذوو أنوف معقوفة، وقد ترسخت هذه الصورة أعمق سيما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 [3].

1 –يامين بودهان ، تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام و المسلمين في الاعلام الغربي ، مجلة الوسيط للدراسات الإسلامية ، ,العدد 12، 2006، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، د ص .

2 –عوض فتحي الملا، دور الإعلان في إيضاح الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين، مركز الدراسات والبحوث قسم الندوات واللقاءات العلمية، 2013، ص 12.

3 –يامين بودهان ، المرجع السابق .

و يمكن للمتأمل في الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الإعلام الغربي إلى جمهورها عن الإسلام و العرب، أن يدرك و بسهولة عدم ملامح بارزة تتألف منها تلك الصورة المشوهة، و قد لخص أحد الباحثين تلك الملامح البارزة للصورة النمطية عن الإسلام و العرب في أربع نقاط رئيسية هي :

إظهار العرب في صورة المتناقضين دينيا مع الغربيين، فهم غير مسيحيين، و متطرفون يناهضون الصليبين

إظهار العرب في صورة أبطال الروايات الغرامية لألف ليلة و ليلة، الذين لا يهمهم إلا النساء و الشراب و الجنس .

إظهار العرب بأنهم مصدر المتاعب و الإرهاب و العنف .

إظهار العرب بأنهم السبب في الخطر المفاجئ للنفط عن الغرب [1].

وكنتيجة لهذا النشاط الفكري، تحول الخيال الشعبي للشعب وأصبح مهتمًا بالآخر من خلال الإشاعات والفكاهة والأغنية. في هذا الصدد، ظهرت الهتافات / الأغاني / الفلكلور / القصة، التي تحكي قصص الأبطال والفرسان والمعارك، وتصور المسلمين و العرب كموضوع إدانة عامة. ولعل أشهرها هو "أغنية رولان" و "تتويج لويس" ... إلخ. أما الآخر، المسلم، فيقدم كجسم لكل ما هو غريب، سلبي ويستحق الإدانة مما أدى إلى الإبقاء على صورة المسلم كمسحور ومحارب شرس الذي يحب ويعيش للحرب [2].

المطلب الثاني: المقررات المدرسية الغربية

تتأثر صورة الآخر في مخيلة المواطن الأوربي بعدة وسائل وأهمها وسائل التنشئة السياسية، حيث تمثل الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام دورا هاما في بناء هذه الصورة، وتحتل المدرسة الصدارة من حيث التأثير في سلوك المواطن الأوربي تجاه الآخرين، نظرا للحجم الساعي الذي يقضيه الطفل في المدرسة. ومن أجل الوقوف على صورة الإسلام في مخيلة الطفل الغربي، وتأثير ذلك على خلق حالة خوف

1 –عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الاعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 2 ، 1993 ، ص 67.

2 –طارق لعجال، تهمة الإرهاب كمرحلة في صراع الحضارات: قراءة لتطور العنف الإسلامي في العقل الغربي ، جامعة مالايا um ، ماليزيا، 2012.

لديه من المسلمين، قام اياد القزاز أستاذ علم الاجتماع في جامعة سكرامنتو بولاية كاليفورنيا الأمريكية بتحليل محتويات 36 كتابا مدرسيا للعلوم الاجتماعية مقررة للتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا، وفي غيرها من الولايات الأمريكية خلال فترة 1974-1975، وقد وجد الباحث أن صورة الإسلام في المقررات تؤكد على طبيعة الإسلام العنيفة والمولعة بالقتال، وأنه يبيح العبودية واستعباد الرجل للمرأة ،أما العرب فهم شعب بدوي يعيش في الصحراء ويستخدم الجمل كوسيلة وحيدة لمواصلاته، فالعرب شغوفون بالغزو والنهب والسلب. أما بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي، فالكتب المدرسية تميل إلى إظهار أن فلسطين أرض خالية والناس القلائل الذين يعيشون فيها هم كسالى وبدائيون، على عكس اليهود الذين هم شعب منتج ودؤوب ومجتهد، وأن إسرائيل الدولة الصغيرة، هي في صراع مع الدول العربية الكبيرة [1].

لقد تمحورت صورة العرب والمسلمين، من خلال الكتب الفرنسية، حول محورين:

- تجاهل الإسلام والعرب وحضارتهم ودورهم في البناء الحضاري للإنسانية، من خلال عدم التطرق إلى المنجزات العلمية والفكرية للحضارة العربية الإسلامية، وعدم التطرق إلى المفكرين العرب المسلمين ودورهم في النهضة الأوربية، لأن ذلك يتنافى والصفات التي وردت حول العرب والمسلمين.

- تحقير وتشويه صورة العرب والمسلمين واختصارها في أفراد غير منظمين يعيشون في قبائل أو بدو رحل، بحاجة إلى من يرشدهم من اجل اعمار بلادهم، لأنهم كسولون وقليلوا الذكاء، وهذا ما قام به الاستعمار الفرنسي للدول العربية في شمال القارة الإفريقية.

إن خطورة الصورة النمطية التي يزرعها الغرب في مخيلة الأطفال والشباب الأوربي، تؤدي إلى تنشئتهم تنشئة خاطئة قائمة على أساس رفض الآخر، والنظر إليه نظرة استعلائية عنصرية، تجعله يرفض التعايش مع العرب المهاجرين في الدول الأوربية، ويخلق لديهم عقدة الكبر ورفض الحوار مع من هم اقل منهم شأنا و حضارة [2].

1- حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، تـ 1988 م، ص 91.

2 -مشري مرسي، جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات، مجلة دراسات شرق أوسطية، الأردن، 1/11/2010.

المبحث الرابع: اليمين المتطرف ودوره في تصعيد حملة الكراهية ضد المسلمين

يعد بروز اليمين المتطرف على الساحة السياسية الأوروبية إحدى أكثر الظواهر السياسية أهمية خلال العقدين الأخيرين من القرن المنصرم في أوروبا. وهذه الظاهرة ليست على مستوى واحد في أوروبا كلها، ذلك إنها متغيرة من دولة إلى أخرى، ومن وقت لآخر. فإذا كانت بعض الدول مثل فرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا والنمسا تواجه وضعا يؤثر بعمق على نظمها السياسية، فإن دول أخرى على العكس مثل بريطانيا واليونان والسويد ما تزال حتى الآن متجنبة هذا المد المتطرف [1].

المطلب الأول : من هي أحزاب اليمين المتطرف؟

لا يوجد اتفاق واضح بين الذين تناولوا موضوع أحزاب أقصى اليمين حول تعريف جامع لليمين الراديكالي، رغم الاتفاق الحذر حول خصائصها المشتركة وسمتها المتطرفة، بحيث لا يزال هناك استعمال لمفردات قريبة في اللفظ لكن بعيدة في المعنى كمترادفات مع أقصى اليمين، ومن أمثلة ذلك "اليمين الجديد" و" المحافظون الجدد"، رغم أنه تعبير عن نسق فكري مختلف؛ أما الأولى فتستعمل للإشارة إلى متبني أ فكار الليبرالية المتطرفة التي تدافع عن تحييد تام لدور الدولة في الاقتصاد مع خوصصة كثيفة وسوق مفتوحة. بينما تشير الثانية إلى الذين يحملون مشروعاً تدخليا في السياسة الخارجية الأمريكية يرتبط فيه الاعتقاد الديني بالمصالح السياسية.

أما أقصى اليمين، فيكاد يكون هناك إجماع بين الباحثين في هذا الشأن على أنه مقترن بالأيديولوجية الفاشية، بل يتم تصنيف المنتسبين إليه أحياناً تحت مسمى " الفاشيين الجدد ". وتتسم الفاشية عموماً بكونها تلك الأيديولوجية التي تنكر قيم الليبرالية، العقلانية، الحداثة، الحرية والمساواة، كما ترفض الرأسمالية والشيوعية والديمقراطية، وتعتقد بمثالية الدولة وحتمية الصراع لتقدم التاريخ، وتؤمن بمبدأ القيادة البطولية والالتفاف حول القائد.

1 –ستار جابر الجابري، أحزاب اليمين المتطرف في أوربا دراسة في الأفكار والدور السياسي، دراسات دولية، ع 35، ص 47.

ويجادل كاس ميد (Cas Mudd) في أن الأسس الأيديولوجية المشتركة لليمين المتطرف الأوروبي هي أربعة: القومية أو الانتماء للوطن (Patriotism)، العداء للأجنبي (Xenophobia)، حفظ القانون والنظام، والنظرة الشوفينية للرفاهية (Welfare Chauvinism)؛ بحيث يجب على الدولة أن تضمن من خلال سياستها الاجتماعية رفاهية أفراد الأمة دون الأجانب. غير أن أكثر المقاربات التي حظيت بالإجماع حول الخصائص المشتركة لأحزاب اليمين المتطرف الأوروبي هي التي قدمها ماياندرت فينيما (Meindert Fennema) ، بحيث تنظر إلى هذه الأحزاب كنسق فكري موحد، من خلال برنامجها المعادي للهجرة والمهاجرين، لذا يطلق عليها أحزاب ضد الهجرة (Anti-Iimmigration Parties). فرغم بعض الاختلافات في الأولويات المحلية، فإن جميع الأحزاب في أقصى اليمين الأوروبي تشترك في موقف موحد تجاه الحد من الهجرة وخطر المهاجرين، بحيث تصور المهاجرين كأنهم مشكلة في أربع صور مختلفة؛ كتهديد للهوية الإثنو_وطنية، كسبب رئيسي للبطالة وللجريمة ومظاهر أخرى للّأمن الاجتماعي، وكمستغلين بسوء لما توفره دولة الرفاه. وهذا ما يؤكده الواقع، بحيث أكدت دراسة مقارنة في نتائج سبعة أحزاب يمينية متطرفة في انتخابات البرلمان الأوروبي سنتي 1994و1999 أن العاملّ المرجح في التصويت لمصلحة هذه الأحزاب هو موقفها من سياسات الهجرة ودعوتها لتقييدها [1].

المبحث الخامس: الخطاب الغربي بعد احداث 11 سبتمبر 2001

لا شك أن أحداث 11 سبتمبر، إذا لم تكن قد غيرت العالم فعلا، فإنها فجرت قضايا كبيرة، وخاصة في ما يخص العلاقة بين الثقافات، وبالتحديد بين ثقافتنا العربية ـــ الاسلامية والغربية، وظاهرة الأصولية والتطرف، وفي ما إذا كانت نتائج أم أسبابا. وبكلمة، انتجت أحداث سبتمبر، من ضمن ما انتجت، ضرورة بالغة لإعادة النظر في مفاهيم كثيرة، سواء لمحاولة طرحها بشكل سليم، وتوضيحها لأنفسنا وللآخرين، او لإعادة النظر فيها جذريا.

1 رابح زغوني، الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوربا مقاربة سوسيوثقافية، مجلة المستقبل العربي، د ت، ص 123.

إنه لمن المسلم به أن الشرق الأوسط كان منذ قرون محطة تذويب ثقافي. لكن محطات التلفزيون والأقمار الصناعية والشركات الكبرى ووسائل الإعلام تخلق وجهات نظر جديدة في المنطقة ومن ثم تشكل هوية جماعية جديدة تسمى حضارة الشرق الأوسط الحديثة[1].

ليس من السهل مقاربة ما جرى ويجري في العالم منذ الواقعة الكبرى التي لحقت بالولايات المتحدة الاميركية قبل سنين، وليس من السهل كذلك تركيب الوقائع والتداعيات التي حصلت في اميركا وفي العالم منذ ذلك التاريخ، ولعلنا نعيش اليوم في مطلع الألفية الثالثة مظاهر حرب كونية جديدة بآليات وأساليب في العمل الحربي مختلفة عن النماذج التاريخية المألوفة، وهذا ما يمكن أن نسميه حرب الصور القائمة والمعلنة. فقد عمل الإعلام الغربي منذ حصول الحدث المذكور على بلورة وتركيب صور نمطية لعدو مفترض، وقد جرى تعميم هذه الصور النمطية والانطلاق منها في مواجهة العالم.

المطلب الأول: الخطاب السياسي

إن وجود السلطة السياسية يعتبر ركنا جوهريا من أركان وجود الدولة السياسية تتميز بصفة السيادة: " Souveraineté" والتي تثبت للدولة سلطة قانونية أصلية وآمرة عليا وتفرض هيمنتها بهذه الصفة على الجميع أفرادا وهيئات، وبينت هذه الأحداث بشكل لا يدع مجالا للشك المدى الذي فقدت الحكومات قدرتها فيه على التحكم بسيادتها المطلقة، حيث أصبح تدخل النظام الدولي وتعديه على سيادة العديد من الدول إنما هو من أجل دعم الديمقراطية والحريات. ومن ثم يكون هدف النظام الدولي الراهن هو القضاء على معاقل النظام السلطوي وتحويل الدول إلى النظام السياسي الديمقراطي.

وبعد أحداث 11 سبتمبر، أصبح نظام الحكم من حيث سلطة الدولة العليا والحصرية على أراضيها شانا لا يمكن بتاتا تطبيقه عمليا، إذ لا يسمح أي قدر من بناء المؤسسات والتشريع الصادر عن الدولة وحدها بان تتمكن هذه الدولة من بسط سيطرتها المطلقة على المناطق الخاضعة لها[2]

ونتيجة لذلك فقد أضحى جليا ان المرحلة القادمة تتضمن الحقائق التالية:

1– أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003، ص205.

2– جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة، مركز الخليج للأبحاث، الامارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث ،2004، ص46.

الدولة في ممارستها لسيادتها أصبحت موضوع ضغط كبير للخارج في شكل قانوني دولي نحو وضع قيود على الدولة في سلوكها وكل القوانين يجب ان تكون منسجمة مع القانون الدولي

حدث تغيير كبير في مفهوم قوة الدولة تجاه مواطنيها، وانتقل من قوة الإرغام إلى قوة الشرعية

أصبحت السيادة مسؤولية أكثر منها أداة رقابة وهناك توجه كبير بدأ يبرز وهو إن الدولة القومية هي التي تتميز بالكفاءة والشرعية.

أصبح التدخل في شؤون الدولة مبرر تحت غطاء التدخل لأغراض إنسانية؛ الشيء الذي يحتم على الدولة الخضوع للتدخل الأجنبي في شكل حقوقيون ومراقبون دوليون.

المتغيرات السياسية التي طرأت على العلاقات العربية – الأمريكية

يمكن حصر أهم المتغيرات السياسية التي طرأت على العلاقات العربية – الأمريكية في العناصر التالية:

استهداف بعض الدول والمنظمات العربية والإسلامية والتي وصفها بدول (محور الشر) واتهمها بدعم ممارسة الإرهاب .

ظهور بعض التيارات السياسية داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في الكونغرس التي طالبت بفك الارتباط الاقتصادي مع العرب وخاصة في مجال الطاقة والبحث عن مصادر أخرى في أسيا مع إعادة النظر في العلاقات الأمريكية مع بعض الدول العربية وتجميدها .

نشاط اللوبي الصهيوني في داخل الولايات المتحدة الأمريكية يهدف زيادة لتوتر في العلاقات العربية الأمريكية لصالح إسرائيل ودفع مؤسسة صنع القرار الأمريكية في اتجاه توسيع نطاق الحرب لتشمل دول عربية اخرى .

احداث 11 سبتمبر كانت فرصة بالنسبة لتيار اليمين المتطرف الذي يمسك بمقاليد الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية من اجل تنفيذ خطوات الهيمنة العالمية الشاملة ولو بالقوة السافرة[1].

1– يوسف المراشدة، العولمة واثرها على العالم العربي، مشروع الشرق الاوسط الكبير، الأردن ، دار الكندي للنشر والتوزيع ،7 200، ص196.

المطلب الثاني : الخطاب الديني خطاب البابا بنيديكت السادس عشر –نموذجا –

إذا كان البابا بينديكيت السادس عشر[1]. قد أساء في محاضرته إلى الإسلام[2]، فليست هذه أول مرة يسيء فيها الكاثوليك إلى الإسلام، ويتطاولون عليه، فقد حدث ذلك أكثر من مرة.

حدث من دول مثل فرنسا وإيطاليا، فرأينا تجبُّر فرنسا في استعمارها للجزائر، ومحاولتها طمس هُويَّتها، بحربها المستمرَّة على الإسلام واللغة العربية، وهما الأساسان القويان لهُويَّة الشعب، وكم حوَّلت المساجد إلى كنائس أو متاحف، وكم ... وكم ...

ورأينا تجبُّر إيطاليا على الشعب الليبي في فترة استعمارها له، ومعاملته بكل قسوة وجبروت، وخصوصا مَن قاوموا الاستعمار، مثل عمر المختار ورفاقه.

وقبل ذلك بخمسمائة عام أو تزيد (سنة1591م) ساهمت الكنيسة الكاثوليكية مع الدولة الإسبانية في إبادة المسلمين من بلاد الأندلس في إسبانيا، عن طريق التنصير أو القتل أو الهجرة غير الآمنة التي لا توصِّل إلى بلد إسلامي، وانتهى الوجود الإسلامي نهائيا من الأندلس، بعد أن ظلُّوا فيها نحو ثمانية قرون، أقاموا فيها حضارة شامخة متوازنة، تعلَّمت منها أوربا، واقتبست من نورها ما ساعدها على الخروج من ظُلُمات القرون الوسطى.

ورأينا في العصر الحديث: الذين يصوِّرون الإسلام على غير حقيقته، ويشوِّهون صورته لجماهير المجتمعات الغربية، لينفِّروهم منه، وكتب في ذلك من كتب من المستشرقين والسياسيين – ناهيك بالمبشرين – وغيرهم، وصبُّوا جام حقدهم على الإسلام، من كل مَن لا يزال يحمل في إهابة الرُّوح الصليبية!

ففي الربع الأخير من القرن التاسع عشر تعرَّض الفيلسوف الفرنسي المعروف (رينان) للإسلام بالنقد العنيف، في محاضرة قريبة في اتجاهها من محاضرة البابا، في جامعة (السوربون) في باريس، عن (الإسلام والعلم)، وقد رد عليه في ذلك.

1–انظر، الترجمة الكاملة لحياة البابا بنيديكت السادس عشر، الملحق رقم1.

2–انظر، النص الكامل للبابا بنيديكت السادس عشر، الملحق رقم2.

وكان مما قاله رينان في محاضرته: (أن الإسلام لا يشجِّع الجهود العلمية، بل هو عائق لها، بما فيه من اعتقاد للغيبيات، وخوارق العادات، وإيمان تام بالقضاء والقدر).

وقد صوَّر رينان: عقيدة التوحيد – التي هي جوهر العقيدة الإسلامية – بأنها تؤدِّي إلى حيرة المسلم! كما أنها تحطُّ به – باعتباره إنسانا – إلى أسفل الدرك!

والحقيقة أن عقيدة التوحيد هي التي تُحرِّر الإنسان من الخوف والذلِّ واليأس والكآبة والقلق، وتضع يد المسلم في يد الله، وتمدُّه بقوة خارقة، حين يعلم أن الله معه، وأنه قريب منه، وأنه يعلم سرَّه ونجواه، وأنه حافظه وحاميه، فيشعر بالأمن والسكينة التي لا يشعر بها الجاحدون، ولا الشاكُّون، ولا المشركون، والقرآن يعتبر الشرك انحطاطا بالإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج،31).

والقول بأن الإسلام يرفع الإله عن الإنسان في علاء لا نهاية له! قول صحيح في ذاته، ولكنه لا يمثِّل الحقيقة كلَّها. فإن الله هو الكبير المتعال، والإسلام يفرِّق بوضوح بين المخلوق والخالق، وبين الباقي والفاني، وبين المحدود والمطلق، فهو تعالى (فوق عباده) وهو (الرب الأعلى) ولكنه – مع هذا – قريب من عباده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾(البقرة،168)، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾(الحديد،4) ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(ق،16) .

كما فسَّر (رينان) عقيدة القضاء والقدر، بأنها تعني: الجبر، وسَلبه إرادة الإنسان ومسؤوليته عن عمله، وهو موضوع طويل الذيول، كثير التفاريع، اختلفت فيه الأديان والفلسفات قديما وحديثا، ومَن رجع فيه إلى القرآن يجده بوضوح يحمِّل الإنسان تَبعة ما يعمل، يقول القرآن:﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾(الأنعام،104)، ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (الإسراء،105)، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(فصلت،46)، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الزخرف،72)[1].

1- يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، دار وهبة، القاهرة ، مصر، دت، ص ص17-20.

دوافع البابا إلى التطاول على الإسلام

وقد تساءل الكثيرون عن (الدوافع) الحقيقية وراء هذا الهجوم البابوي على نبي الإسلام، وعلى عقيدته، وشريعته، وحضارته، وأمته؟ وتعدَّدت الآراء في التفسير والتعليل، واختلفت في البرهنة والتدليل، لأن النوايا الحقيقية تكنُّها القلوب، والله وحده هو الذي يعلم ما تُخفي الصدور، والبشر لهم الظواهر، والله يتولَّى السرائر.

وقد لخَّص الأستاذ الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار في وزارة شؤون الرئاسة في (أبو ظبي)، ورئيس مجلس أمناء (دار زايد للثقافة الإسلامية)، مقالات المتكلمين والمحللين لدوافع البابا تلخيصا حسنا، في دراسته الشاملة عن مقالة البابا، أو قُل عن محاضرته، وقد نقل عنه الدكتور يوسف القرضاوي مايأتي:

(أما عن الدوافع: فقد قامت نظريات لا يمكن القطع بصحة أيٍّ منها، فالله وحده هو المطَّلع على النوايا. ومع ذلك فإن كلا منها يُلقي ظلالا على الموقف وآثاره.

فهناك مَن يقول بأن البابا يريد أن يغطِّي على ماضيه مع الحركة النازية المعادية للصهيونية، أو كما يقال – المعادية للسامية – فقد كان البابا ضمن الشبيبة الهتلرية في صباه، ثم خدم في سلاح المشاة بالجيش النازي ووقع في الأسر. وهذا الانخراط في النازية لا يمكن أن تنساه إسرائيل وحُماتها، وسوف تُبرز هذه الورقة عند اللزوم إذا كان ذلك في مصلحتها، ولكنها يمكن أن تتناساه إذا خاصم الرجل الدين المُواجه للصهيونية وأتباعه، وهو ما يمكن القول بأن المحاضرة قد قامت به.

وهناك مَن يقول بأن المذهب الكاثوليكي في الولايات المتحدة يعاني من مشكلات أثَّرت على سُمعته لدى المجتمع الأمريكي، فجاءت هذه المحاضرة لتُجامل السياسة الأمريكية وتعاضدها في حربها المسمَّاة أحيانا بالحرب على الإرهاب، وأحيانا أخرى معاداة الفاشية الإسلامية. فها هو الحبر الأعظم يقول ما تقوله السياسة من موقعه كأكاديمي لاهوتي قديم، ورأس للكنيسة الكاثوليكية، ورئيس لدولة الفاتيكان، ويتوقَّع في مقابل ذلك ترميم سُمعة الكنيسة في تلك الديار.

وهناك مَن يقول بأن البابا لا يريد للوجود الإسلامي في أوربا أن يتَّسع ويتثبَّت، وقد عبَّر عن ذلك صراحة في معارضته العلنية، حينما كان (الكاردينال جوزيف راتزنجر) لانضمام تركيا المسلمة إلى الاتحاد الأوربي باعتبار أنها تنتمي لحضارة غير متجانسة مع الغرب المسيحي.

وأخيرا هناك مَن يقول بأن البابا ينتمي إلى الفريق الكنسي الذي لا يؤيِّد الحوار الجاد مع الأديان، لأن فيها تعطيلا وتنكُّرا لرسالة التبشير المسيحية). ويستشهد هؤلاء على هذه الدعوى بأن البابا بدأ فترة بابويته بنقل الكردينال البريطاني فيتز جيرالد من موقعه في الفاتيكان إلى الخارج، وهو من أعلام الحوار في روما.

وإذا لم نكن قد أكَّدنا أيًّا من هذه الدعاوى عن الدوافع، فإننا لا نتصوَّر أن الناس سوف يُسقطونها من حسابهم).

وقد أكد عدد من الأوربيين المسلمين: أن دافع البابا هو خوفه مما يرى من انتشار الإسلام في العالم بصفة عامة، وفي أوربا بصفة خاصة، فكان هجومه الحاد والمفاجئ نوعا من الدفاع الخفي أمام ظاهرة انتشار الإسلام السلمي[1].

وهكذا؛ فإن العداء القائم ضد الإسلام والمسلمين هو نتيجة طبيعية للصورة النمطية التي رسمها كثير من الكتاب والباحثين والمستشرقين والمنصّرين والتي تقوم على رسم المسلمين على أنهم عنصريون وأغبياء ومتخلفون وقتلة، وأنهم لا يستحقون الحياة، ومن ثم تتم الإساءة لديننا ونبينا ﷺ، وهذا ما يسوّدون به كتاباتهم منذ قرون.

1- البابا والإسلام: المرجع السابق، ص ص27-29.

الفصل الثالث:

الفصل الثالث أثر التعصب على العالمين المسيحي والإسلامي و ضرورة الحوار

المبحث الأول:

اضطهاد الأقليات المسلمة

المبحث الثاني:

بروز فكرة الخوف من الإسلام

المبحث الثالث:

ثقافة التسامح وأهمية الحوار

تمهيد:

شكَّلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 منعطفاً في تاريخ العالم كله بشكل عام وتاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب بشكل خاص، وذلك بعد اتهام مسلمين بالقيام بالعمليات التي وقعت ضد الولايات المتحدة الأميركية في هذا اليوم، وقد بلغت التطورات التي وقعت في العالم خلال هذه السنوات مبلغاً فاق ما حدث ربما في عقود قبله، كما أن الغرب الذي كان قبلة وملاذاً لكثير من المسلمين الذين كانوا يعانون في بلادهم من الاضطهاد والظلم أصبح موطن خوف واضطهاد وعنصرية لكثير من.. من المسلمين الذين يعيشون فيه.

يبلغ عدد المسلمين الذين يقيمون في أوروبا أكثر من خمسين مليون مسلم، نصفهم يعيشون في أوروبا الغربية، منهم ستة ملايين في فرنسا يشكِّلون 10% من عدد السكان، ويمتلكون قوة تصويتية مقدارها مليون وثمانمائة ألف صوت انتخابي، كما يزيدون عن أربعة ملايين مسلم في كل من بريطانيا وألمانيا، كما يزيدون عن سبعة ملايين في الولايات المتحدة الأميركية، ويسعى هؤلاء للتعايش مع المجتمعات التي يتواجدون فيها، لكنهم حسب كثير من التقارير يواجهون تمييزاً عنصرياً وضغوطاً، ويعيشون أزمات وتحديات كثيرة [1].

فالمشكلات والتحديات التي تعاني منها الأقليات المسلمة في الغرب تختلف أشكالها وتتفاوت درجاتها من بلد لأخر، لذا سنحاول أن نتعرض لأهم المشكلات التي تواجهها الأقليات المسلمة في الغرب بشكل عام، نظرا لتشابه المشكلات إلى حد كبير، ومن جانب أخر لأن الدخول في تفصيلات مشكلات الأقليات المسلمة كل دولة غربية على حدة يلزمه بحوث ضخمة، وهو ما لا يسعنا في هذه الدراسة.

1- أحمد منصور، مستقبل المسلمين في الغرب بعد أحداث سبتمبر، في حوار مع أحمد جاب الله عميد المعهد الأوروبي للدراسات الإسلامية – فرنسا، 10/09/2003، http://www.aljazeera.net/programs .تاريخ الزيارة 2/5/2018.

المبحث الأول: اضطهاد الأقليات المسلمة

المطلب الأول :المقصود بالأقليات و كيف نشأة

لغة: بفتح القاف وتشديد اللام المكسورة والياء المفتوحة من القلة بكسر القاف.

اصطلاحا: يطلق لفظ الأقلية على كل جماعة تعيش خارج حدود الدولة التي تنتمي إليها بحيث يتمتع جميع أفراد الجماعة اليوم بما يسمى الجنسية.

يرى الشيخ (القرضاوي) أن رواج هذه الكلمة في عصرنا "نتيجة لكثرة الهجرات وتقارب العالم بعضه مع بعض ويعرفها كما يلي "كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار، تتميز عن أكثرية أهله في الدين، أو المذهب أو العرق، أو اللغة، أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتميز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض" [1].

المقصود بالأقليات المسلمة:

يقصد بالأقلية المسلمة: مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطان دولة غير مسلمة في وسط أغلبية غير مسلمة، أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد، أو الثقافة الغالبة، ومن ثم لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مله ومبادئه، وقد يعاني المسلمون في حالت كثيرة من جهود ترمي إلى علمنتهم وإبعادهم عن مللهم الدينية، وإدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة.

كذلك يمكن تعريف الأقليات المسلمة: بأنهم المسلمون الذين يعيشون في البلدان غير العضوة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعددهم حوالي (450) مليون مسلم، يتوزعون على قارات العالم الست، أي ما يقرب من ثلث عدد المسلمين.

1 –يوسف القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة، مكتبة دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1422ها ،2001م، ص15.

كيفية نشأة الأقليات المسلمة

المتبع لنشأة الأقليات المسلمة أو الجاليات المسلمة يجد أن نشأتها كانت بواحدة من الطرق الآتية:

1- اعتناق الإسلام: فإنه من الممكن أن تشكل الأقلية المسلمة في أي بقعة من بقاع الأرض إذا اعتنق بعض أهلها الإسلام.

2- هجرة بعض المسلمين إلى أرض غير مسلمة، كأوروبا وأمريكا وأستراليا وغيرها بدوافع سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

3- احتلال أرض المسلمين من قبل دولة غير إسلامية فتحاول هذه الدولة المحتلة بطرق مختلفة طرد سكان الأرض الأصليين، أو أن يندمج هؤلاء المسلمون مع سكان البلد المحتل، كما حدث في شرق أوروبا والهند وفلسطين.

ويمكن أحيانا أن تتكون الأقلية الإسلامية من أكثر طريق واحد، كأن تتكون عن طريق الهجرة واعتناق الإسلام .[1]

المطلب الثاني : أسباب الممارسات الغربية غير العادلة تجاه المسلمين في الغرب

تتعرض الأقليات المسلمة في الغرب إلى عدة أشكال من الاضطهاد و يعود ذلك لعدد من الأسباب أهمها :

1- يعتقد البعض أنه نظراً لتزايد الوجود والحضور الإسلامي في المجتمعات الغربية، بدأت بعض التيارات والتوجهات المعادية لهذا التواجد الإسلامي اتخاذ منحي تضيقي وتمييزي ضد المسلمين للحد من حضورهم، فضلاً عن محاولات أخرى لاستفزازهم ربما تمهيدا لطردهم من المجتمعات الغربية أو ربما تذويبهم وطمس هويتهم داخلها.

2- عدد من هذه الممارسات قام به أشخاص نتيجة جهلهم بالإسلام فضلاً عن الصور المغلوطة التي ألصقت به من جراء التضليل الإعلامي الذي مورس ضد الإسلام، وعددًا أخر من هذه الممارسات

1 -أحمد عبدالغني محمود، مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، 11/6/2012، http://www.alukah.net. تاريخ الزيارة، 2/5/2018.

قام به أشخاص لتحقيق أغراض شخصية أو سياسية ، ولكن الواقع يؤكد أن هناك عدداً أخر من هذه الممارسات قامت بها جهات على علم بحقيقة الإسلام، ولكنه تعارض المصالح، حيث رأت في الوجود الإسلامي عامة والأقليات خاصة خصم مستقبلي يهدد مصالحه المستقبلية فبادرت بمهاجمته والتضييق عليه قبل أن يستفحل خطره.

3-أحد أهم الأسباب هي نظريات الاصطدام والقطيعة بين الحضارات التي ظهرت في الآونة الأخيرة، والتي تهدف إلى تحويل الإسلام إلى عدو العصر الحديث.

4-هناك "في برلمانات الغرب عمومًا أعضاء من أحزاب يمينية يثيرون المخاوف من الأخطار المحتملة نتيجة لتزايد الهجرة من العالم الاسلامي، ويتحدثون عن الأزمة التي تعيش فيها دول أوروبا بسبب تناقص المواليد ونتيجة لهذه الظاهرة فإن دول الغرب مضطرة إلى الاستعانة بالأجانب والسماح بالهجرة اليها لتوفير الأيدي العاملة الرخيصة، والبعض يحذر من أن استمرار هذه الحالة يمكن أن يؤدي إلى أن يصبح المسلمون هم الأغلبية وتصبح بعض دول أوروبا دولاً مسلمة"

5-استغلال بعض السياسيين ظاهرة الخوف من الإسلام للتلاعب بعواطف ومشاعر وعقول أبناء مجتمعاتهم، في محاول لكسب أصواتهم في انتخابات برلمانية أو رئاسية [1].

6-أحد هذه الأسباب الهامة هي نظرة العداء المتفشية تجاه كل ما هو إسلامي داخل المجتمعات الغربية، فعلى سبيل المثال يقول الرئيس الأمريكي السابق (ريتشارد نيكسون) "إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء.. ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين."[2]، وبناء على هذه النظرة العدائية المتفشية لا تجد الأحزاب اليمينية المتطرفة صعوبة كبيرة في حشد هذه الجماهير ضد كل ما هو إسلامي.

7-ومن هذه الأسباب أيضًا، الزهو الغربي فالإنسان الغربي "مزهو بنفسه، ينظر إليها باستعلاء، وإلى

1 -أحمد عبد الغني محمود، مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، مرجع سابق.

2 -محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2003م، ص66.

غيره بازدراء، وسر ذلك أن الغرب قد ورث الحضارة الرومانية، التي تقسم الناس كل الناس إلى صنفين: رومان وبرابرة، والرومان هم السادة، والآخرون هم العبيد! "[1]، فما زال الرجل الغربي على مذهب (ارنست رينان) الذي كان يرى "أن الأوربي خُلق للقيادة، كما خُلق الصيني للعمل في ورشة العبيد وكل ميسر لما خُلق له"[2]، فإذا كان الآخرون هم العبيد فأي حق لهم من وجهة الإنسان الغربي؟!

8-الخوف من الهجرات والتزايد السكاني للمسلمين في نفس الوقت الذي تتراجع فيه أعداد المولودين بالمجتمعات الغربية، يقول صاحب كتاب (موت الغرب): "فنخبهم الحاكمة أكثر تنبها، وأكثر توجسا، أصعب عريكة بشأن المخاطر الاجتماعية للهجرة الكبيرة... ولكن هذه الأمم نفسها ونخبهم الحاكمة متأخرون، بل ومتأخرون جدًا على الصحوة على الخطر السكاني الذي يتمثل بالسكان الذين يموتون."3

9-وأخيرًا نقول إن هوان الأقليات المسلمة في الغرب على الحكومات الغربية هو جزء من هوان المسلمين في العالم الإسلامي على الحكومات العربية والتي كانت سداً منيعًا ضد التوجهات الإسلامية بمختلف أنواعها، فإن كانت أنظمتنا وحكوماتنا تفعل هذا، فبأي وجه تستطيع هذه الحكومات المتأسلمة أن تطالب الحكومات الغربية إعطاء مسلمي الغرب حقوقهم؟، في نفس الوقت الذي تهدر هذه الحقوق على أراضيها؟!

1 -يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1416هـ، 1995م، ص195.

2- مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1420هـ،2000م، ص 98.

3 -باتريك جيه بوكانن، موت الغرب، ترجمة محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ ،2005م ص198.

المطلب الثالث: أحداث تاريخية بارزة بعد 11سبتمبر 2001

نعيش في أيامنا هذه فترات حرجة على المستوى الدولي في وسط تهديدات حقيقية على أمن جميع البلدان واستقرارها في العالم، إن ظلم وجهل الأمس يولدان منازعات اليوم، وظلم وجهل اليوم يمهدان لمواجهات وصراعات الغد، وهنا سنسرد أهم التواريخ من بعد أحداث 11 سبتمبر الى واقعنا والتي حددت بشكل واضح الإشكالية بين العلاقات الدولية وحوار الأديان.

1- 2001: الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001، وتزايد صدام الحضارات وارتفاع كراهية الأجانب و الإسلاموفوبيا، ومـــا تلاه من التدخل في أفغانستان وكذا بداية عولمة اللاأمن، وعلى نقيض ذلك، فقد كان هذا العام عام الأمم المتحدة لـــ "الحوار بين الحضارات" الذي صرحت به الجمعية العامة.

2- 2003: غزو العراق من دون تزكية من منظمة الأمم المتحـــدة، وقـــانون الأقـــوى ومـــا تبعه مـــن زعزعة استقرار المنطقة وتعميم الشكوك مستقبلاً في السياسة الدولية. وهذا ما مهّد لإرساء نظام جديد تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن الحادي والعشرين الجاري

3- 2004- تفجيرات مدريد 2004 وتعرف أيضا بتفجيرات 11مارس 2004 في محطة قطارات أتوشا رينفي في مدريد إسبانيا. يعرفها الأسبان ب (M-11) ،وكانت سلسلة من التفجيرات الإرهابية المتناسقة التي استهدفت شبكة قطارات نقل الركاب في مدريد في صباح 11 مارس2004 (قبل ثلاثة أيام من الانتخابات العامة الأسبانية) مسببة في مقتل 191 شخصا وجرح 1.755 أخرين

4- 2005 : إنشاء تحالف الحضارات على مستوى منظمة الأمم المتحـــدة الذي من مهامه تحسين التفاهم والعلاقات بين الأمم والشـــعوب ذوي الثقافات والديانات المختلفة وكذا الإسهام في القضاء على التطرف.

5- 2005: خلال العشرية الأخيرة منذ عام 2005 حتى يومنا هذا عقدت ندوات دولية حول الحوار ما بين الديانات والثقافات والحضارات بمبادرة من دول مسلمة وعلى سبيل المثال في عمّان بمبادرة من الملك الأردني، وفي مكة وفي مدريد بمبادرة من خادم الحرمين الشريفين، وفي إسطنبول بمبادرة من تركيا، وفي باكو بمبادرة من الحكومة الأذربيجانية. وفي عامي 2014 و2015 في أبو ظبي بمبادرة من دولة الإمارات العربية المتحدة، انعقد مؤتمر دولي ذو أهمية كبرى لتعزيز ثقافة السلم والتعايش في المجتمعات المسلمة.

6- 2006- حادثة تهجمه البابا بنيديكت السادس عشر، على الإسلام أين ألقى خطاباً أمام جامعة ريغنسبورغ في 12 سبتمبر 2006 موجة اعتراضات في العالم الإسلامي إثر استشهاده بنص حوار قديم قام بين قيصر بيزنطي ومفكر فارسي فيه عبارة: "فقط أرني ما أتى به محمد وجاء جديدا، عندها ستجد فقط ما هو شرير ولا إنساني، كأمره نشر الدين الذي نادى به بالسيف".

7- 2009: خطاب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "بارك أوباما" في القاهرة: "لقد أتيت إلى هنا للبحث عن بداية جديدة بين الولايات المتحدة والمسلمين استناداً إلى المصلحة المشتركة والاحترام

المتبادل...اللذين لهـــما قواســـم ومبادئ مشتركة يلتقيان عبرها وهي العدالة والتقدم والتسامح وكرامة كل إنسان". الأمل الذي أيقظه هذا الخطاب لن يدوم طويلاً [1].

8- 2009- حادثة مقتل مروة علي الشربيني هي حادثة وقعت في عام 2009 في مدينة دريسدن الألمانية، حيث قام مواطن ألماني يُدعى أليكس دبليو فيتز يبلغ من العمر 28 عامًا داخل محكمة في مدينة دريسدن بعد ما قام بطعن صيدلانية مصرية كانت تبلغ من العمر 32 عامًا 18 طعنة في 3 دقائق، وبعدها فارقت الحياة. بعدما وصفها بالإرهابية بسبب ارتدائها الحجاب، وقد قامت مظاهرات في جنازتها شارك فيها مئات من المصريين والعرب امام مجلس بلدية مدينة نويا كولين منددين بالتطرف والعنف الذي يمارس ضد المسلمين، وطالب المتظاهرون الحكومة الألمانية بتوقيع أقصى عقوبة على القاتل، وفي 11 نوفمبر، 2009 حكم على القاتل بأقصى عقوبة في ألمانيا وهي السجن مدى الحياة.

9- 2015- الهجوم على صحيفة شارلي إبدو هو هجوم وقع باقتحام ملثمين إثنين مقر الصحيفة الساخرة شارلي إبدو في باريس في 7 يناير 2015 ، أدى هذا الهجوم إلى مقتل 12 شخصاً وإصابة 11 آخرين. قامت في فرنسا مسيرات تحت اسم مسيرة الجمهورية مدعومة بمسيرات في مدن أخرى في العالم. هذه المسيرات أصبحت الأكبر في تاريخ البلاد، المسيرة المقامة في باريس شارك فيها حوالي 50 من قادة العالم [2].

1 مصطفى شريف، حوار الحضارات والعلاقات الدولية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2016، ط1، ص:7،8.

2 ويكبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org ، تـــ تصفح 12/04/2018.

المبحث الثاني: بروز فكرة الخوف من الإسلام

يعد مصطلح "الإسلاموفوبيا" من المصطلحات الحديثة التداول حول علاقة الغرب بالإسلام، وقد تم نحت المصطلح الذي استعير في جزء منه من علم الاضطرابات النفسية للتعبير عن ظاهرة الإرهاب أو الخوف المرضي من الإسلام. فمصطلح "الفوبيا" أو الرهاب، مستمد في الأصل من علم الأمراض النفسية، ليتم التعبير بواسطته عن نوع من أنواع العصاب القهري، بحيث لا يملك المريض القدرة على التحكم في ردود أفعاله عند تعرضه لموضوع خوفه، فيضيق صدره ويجف ريقه وتتزايد ضربات قلبه ويشحب وجهه وترتعش أطرافه، ليدخل في حالة فعلية من الفزع غير المسيطر عليه [1].

المطلب الأول : ما معنى مصطلح الإسلاموفوبيا؟

الإسلاموفوبيا بالانجليزية Islamophobia يعني التحامل والكراهية والخوف من الإسلام، فمصطلح الإسلاموفوبيا مركب من كلمتين هما كلمة " إسلام" وهي كلمة عربية، والكلمة الأخرى وهي كلمة " فوبيا" وهي يونانية وتعني الخوف وأصلها فوبوس، فالمصطلح يترجم بشكل عام إلى الخوف من الإسلام أو الخوف من المسلمين، ولأن كلمة " فوبيا" هي كلمة في الأصل يونانية وتعني خوف فقد تردد الكثير من المصطلحات بهذا الشأن، إلا أن الترجمة الدارجة لدينا لهذا المصطلح هو " الرهاب" وبذلك يكون المعنى الاصطلاحي للإسلاموفوبيا هو " رهاب الإسلام " أي الخوف منه.

1- جواد طالب، مجلـــة الحوار المتمدن، محور، الطب والعلوم، ع، 1260 -2005 / 7 / 19، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=41398. تاريخ الزيارة 2/5/2018.

المطلب الثاني : بداية ظهور مصطلح الإسلاموفوبيا

بدأ دخول مصطلح الإسلاموفوبيا في عام 1997 عندما قامت خلية تفكير بريطانية يسارية اسمها " رنيميد ترست" باستخدام هذا المصطلح لتأجيج مشاعر الكراهية والخوف من الإسلام والمسلمين، وهو الأمر الذي أدى بالطبع إلى ممارسات تمييزية وإقصائية، وقد ظهرت الكثير من الآراء التي تجادل في هذا الأمر، حيث اعتبر ذلك نوع من التمييز العنصري، وللأسف الشديد كانت النظرة إلى الإسلام في هذا الوقت بأنه لا يشترك مع الثقافات الأخرى في أي قيمة، وأنه أدنى مترلة من الثقافة الغربية، وقد اعتبر ذلك قوة سياسية عنيفة وليست مجرد معتقد ديني ، وقد عرف الباحثون أن مصطلح الإسلاموفوبيا هو شكل من أشكال العنصرية وقد ربطوها بأحداث 11 سبتمبر، واعتبروها ظاهرة مصاحبة لتزايد عدد المهاجرين المسلمين للولايات المتحدة الأمريكية، وقد قوبل هذا المصطلح بهجوم شديد ورفض [1].

المطلب الثالث : أسباب ظاهرة الإسلاموفوبيا

كأي ظاهرة أخرى فإن لظاهرة "الإسلاموفوبيا" أسباب متعددة تتفاوت في أهميتها وقوتها، بيد أنها تتظافر فيما بينها لتشكيل الظاهرة على النحو الذي تتراءى به. وفيما يلي محاولة لاستعراض أبرز الأسباب التي يمكن أن تكون مسئولة عن إيجاد تلك الظاهرة.

احتواء التاريخ على الكثير من وقائع الصراعات بين الإسلام والغرب والتي يعود تاريخها إلى عصر الفتوحات الإسلامية، وهو ما يحتاج بالفعل إلى توضيح للغرب من قبل المختصين والمستشرقين خاصة وأن الصورة المنقولة عن تلك الفتوحات أنها عداء ودم وقتال

1- رائد أحمد غنيم، الخوف الغربي من الإسلام أسبابه ووسائله وآثاره، رسالة ماجستير قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية غزة، 2012، ص 2.

الجهل بالإسلام وهو الأمر الأخطر لأن الكثير من الغرب ليست لديه أي قابلية للتعرف على الإسلام عن قرب وهو الأمر الذي يجعلهم يخافون منه ويميلون إلى معاداته وهو الأمر الذي يحتاج إلى توضيح خاصة مع سطحية المعلومات عن الإسلام والمعلومات

الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين حيث تعاني الأمة الإسلامية على مدى قرون عدة من أزمات سواء اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية.

بناء صورة سلبية عن المسلمين وهو للأسف سبب من ضمن أهم الأسباب للخوف من الإسلام الغير صحيحة [1].

كما يجب التنويه إلى جزء مهم جدا وهو أن الإسلام هو آخر الديانات السماوية، وليس من المقبول أن يتم خلطه بسلوكيات فردية لأن الإرهاب لا دين له، لذلك فإن الحل للتقليص من المصطلحات المعادية للإسلام كالاسلاموفوبيا وغيرها هو التعريف بشكل كامل عن الإسلام ليقدم بالصورة الصحيحة له في الغرب حتى يبعدون عن تلك الخلفية الغير صحيحة التي قد تبنوها عن الإسلام وهو برئ منها..

المبحث الثالث: ثقافة التسامح وأهمية الحوار

المطلب الأول: ثقافة التسامح والتعايش

إن من أهمّ القضايا التي تشغل عقول الصفوة من العلماء والمفكرين، وتستقطب اهتمام المشتغلين بالدراسات المستقبلية، والمهتمين بمصير التدافع الحضاري على جميع مستوياته، قضية التعايش بين الأديان، بما تطرحه من مسائل تتشعب عنها، وبما تفرضه من تحدّيات تتخطّى في معظمها، النطاق الديني والحضاري والثقافي، إلى مجالات من الفكر والرأي أوسع، ومساحات من ردود الفعل أرحب.

1 –نعيم إبراهيم الظاهر، ظاهرة الإسلاموفوبيا الرهاب من الإسلام كتحدي سياسي للعالم الإسلامي والحلول المقترحة له، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإسلامية، عمان، أفريل 2007.

وإذا دقّقنا في مدلولات مصطلح التعايش(COEXISTENCE) الذي شاع في هذا العصر، والذي ابتدأ رواجُه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين كانتا تقسمان العالم إلى معسكرين متناحرين، قبل سقوط سور برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي، ـــ نجد أن البحث في مدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملةٍ من المعاني مُحَمَّلةٍ بمفاهيمَ تتضارب فيما بينها، ولكن يمكن تصنيفُها إلى مستويات ثلاثة:

المستوى الأول: سياسي، إيديولوجي، يحمل معنى الحدّ من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكّم في إدارة هذا الصراع، بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تفتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية. وقد عُرف التعايش، أول ما عُرف، على هذا المستوى الأول.

المستوى الثاني: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلةٌ بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية، من قريب أو بعيد.

المستوى الثالث: ديني، ثقافي، حضاري، وهو الأحدث، ويشمل ـــ تحديداً ـــ معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري. والمرادُ به أن تلتقي إرادةُ أتباع الأديان السماوية والحضارات المختلفة، في العمل من أجل أن يسود الأمنُ والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جوّ من الإخاء والتعاون على ما فيه الخيرُ الذي يعمّ بني البشر جميعاً، من دون استثناء1.

1 –عبد العزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن 21 ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ، ط2، 1436هـ /2015 م، الرباط المغرب، ص12،13.

المطلب الثاني : التعايش عند غير المسلمين

مهما تحلَّينا بفضيلة نسيان الماضي، وتحكّمنا في المشاعر الدينية استجابةً لضرورات التجرّد الموضوعي في البحث، فلا نملك أن ننكر أن تاريخ العلاقات الإسلامية ــ المسيحية، عبر الأزمنة الغابرة، لم يكن فيه الجانبُ المسيحيّ يعرف للتسامح معنًا من المعاني، و لم يكن تعامله مع المسلمين يرتقي إلى مستوى التعايش.

إننا وبمنتهى التسامح، وبكل الرغبة في التعايش، وبدافع الحرص عليه والاستجابة لدواعيه، نسجّل هنا للعبرة التاريخية ،وحتى تستبين لنا معالم السبل، أن أهل الأديان عموماً، لم يكونوا في تعاملهم مع المسلمين طوال المراحل التاريخية، في مستوى التسامح الذي تحثّ عليه تعاليم كل دين، وأن الحضارة الإنسانية خسرت كثيراً بما كان يمارسه أهل الأديان الأخرى من اضطهاد ضد المجتمعات الإسلامية في عصور مختلفة، سواء أكان ذلك في الأندلس، أم في فلسطين، في العصور الوسطى، أم في جميع البلدان الإسلامية التي وقعت تحت نيّر الاحتلال العسكري الأوروبي، وفي الدول التي توجد بها أقليات إسلامية، في العصرين الحديث والمعاصر.

مع ذلك، فنحن لا ننكر أن الكنيسة الكاثوليكية فحصت موقفها التقليدي من الإسلام فصححته، فقد جدَّ جديدٌ منذ أيام أوربان الثاني في عام 1095م. لنقرأ موقف الكنيسة الكاثوليكية في الوثيقة(نوسترا إيتاتي) التي أصدرها المجمع المسكوني الثاني في عهد البابا بولس السادس في عام 1965م. عن موقف الكنيسة من غير المسيحيين جاء فيه عن المسلمين : (إن الكنيسة تنظر بعين التقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحيّ القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السماوات والأرض الذي خاطب البشر، والذين يدينون بالطاعة حتى لأوامر اللّه الخفية، كما دَانَ إبراهيم الذي ينتسب إليه إيمان المسلمين، وهم يجلوّن عيسى كنبي، وإن لم يعترفوا به كإله، ويبجلون أمه مريم العذراء في تقوى وضراعة، وهم فوق هذا ينتظرون يوم الدين عندما يبعث اللّه الناس ليحاسبهم، ويعظمّون الحياة الأخلاقية، ويؤدون العبادة للّه خاصة بالصلاة والزكاة والصوم.

المطلب الثالث: ضرورة التعايش مع الآخر

إن التعايش بين الأديان، الذي هو في الوقت نفسه تعايُشٌ بين الثقافات والحضارات، إن لم يكن الهدف منه خدمة الأهداف السامية التي يسعى إليها الإنسان، ضاع المعنى الإيجابي منه، وصار إلى الدعاية واللجاجة، أقرب منه إلى الصدق والتأثير في حياة الإنسان المعاصر. ومن أجل ذلك، يتوجب علينا نحن المسلمين، أن ندقّق في الأغراض والمرامي التي تنطوي عليها الدعوات التي تصدر عن بعض الأطراف إلى الحوار مع الأديان والثقافات والحضارات، والتي تدعونا إلى التعايش مع أهل هذه الأديان والمنظومات العقائدية، حتى لا نكون ضحية للغشّ الثقافي والديني، الذي هو أشدّ خطراً وأقوى أثراً وأسوأ عاقبةً، من الغشّ التجاري والصناعي.

إننا، ومن واقع تقديرنا للمخاطر التي تتهدّد البشرية في هذه المرحلة من التاريخ، نؤمن بأن التعايش مع أتباع الأديان بصفة خاصة، ضرورةٌ من الضرورات الملحة التي يفرضها الحفاظُ على سلامة الكيان الإنساني، ويمليها الحرصُ المشترك على البقاء الحرّ الكريم فوق هذا الكوكب.

ولا يخامرنا شك في أن التعايش بين الأديان، سيكون أشدّ إلحاحاً في المستقبل القريب، لما يبدو لنا من مؤشّرات في الأفق تؤكّد جميعها على أن القرن الحادي والعشرين، سيعرف أزمات شديدة الوطء على المستوى السياسي والاقتصادي، وعلى الصعيد الحضاري والثقافي معاً.

وفي مثل هذا المناخ، تتضاعف أهميةُ رسالة الأديان السماوية، وتتَعَاظَمُ مسؤولية المؤمنين في الدّفع بالتعايش بين الأديان نحو الاتجاه الصحيح، عملاً بالتوجيه الرباني في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران،64) [1].

1 –عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع نفسه، ص42.

عملية الحوار بحد ذاتها عملية "حضارية ". إذ يخلق الحوار بيننا كمجتمعات. الانخراط في حوار حقيقي في المجتمع المدني ويعزز قيم بناء الثقة والاحترام والشعور بالألفة والراحة والتعاون بعضنا مع البعض الآخر ومعرفة كيفية إنشاء أرضية مشتركة تجمع أفراد المجتمع1.

المطلب الرابع: الاعتراف بالقيم الإيجابية للآخر

فليس الآخر بجميع أفراده وجماعاته شرا محضا ومطلقا ينبغي تَوَقّيه دائما والحذر منه أو النفور من مجاورته ومشاركته، بل إن من ضمنه أناس طيبون وفاعلون للخير، وقد دل الخطاب القرآني صراحة على ذلك حيث نبه مثلا إلى ما يلي:

أهل الكتاب ليسوا سواء، بل لهم توجهات بعضها أقرب إلى الحق من بعض، فمنهم أمة مستقيمة على طاعة الله ثابتة على أمره، لم تترع عنه أو تتركه كما تركه آخرون وضيعوه، وهذا هو منطوق القرآن في قوله تعالى:﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(آل عمران: 113 -114). وقد قيل في معنى الآيتين أنه عام في اليهود والنصارى، وأن من ضمن الأمة المستقيمة من أسلم منهم، وقيل هو خاص ببعضهم.

من أهل الكتاب من يكِن للإسلام وأهله المودة وجميل الصحبة، والنصارى خاصة – أو فئة منهم أقرب من غيرهم – وحتى مع تبوئهم مكانة في نظامهم الكنسي فإن لهم صفات عالية من الخشية والتواضع ولين الجانب، قال تعالى بعد أن ذكر شدة عداوة اليهود والمشركين للمسلمين: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة: 83). فهذا البيان الإلهي شهادة لرقة قلوبهم وشدة

1 – صالح خليل أبو أصبع ، ثقافة التسامح و التعايش مع الآخر، تاريخ الزيارة ،11/04/2018
http://yaf.ps/server/uploadedFiles/docs/paletinian-issuse8/6.pdf

خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تعنتهم في الإصغاء إليه، وذلك نتيجة معرفتهم ببعض الحق، فكيف لو عرفوا الحق كله.

من أهل الكتاب من يتسم في معاملاته المالية بالأمانة ويحرص على الوفاء بحقوق الآخرين ولو كانوا من غير أهل ملته، فقد قال تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ (آل عمران،75) .

ورغم وضوح الخطاب القرآني في هذا المستوى، فالشائع في المقاربة العربية هو القول بثبوت الجبلة لدى شخصية أهل الكتاب، وهذا يلغي ما للواقع من تأثير على تشكل تلك الشخصية، ويترع نحو رؤية مفارقة؛ إذ تغيب العوامل الاجتماعية الفاعلة لتحضر الطبائع الأزلية، فيكون الفرد جوهرا ثابتا لا يأتيه التغيّر ولا يلحقه التبدّل. والملاحظ أن هذه التحاليل المثالية، تحاول أن تجد سندا لها في القرآن الكريم، بما يتنافى مع الدراسة الإناسية لتنجم النص القرآني وتدرج خطابه وتنوع إشاراته، التي كانت فيها المواقف والأحكام في جدل واضح مع الظرفيات والوقائع1.

1- محمد اكيج، الاعتراف بالآخر الديني ومستلزماته الأخلاقية والحوارية، المؤتمر الدولي إشكال العلاقة بين الحوار والأخلاق في الفكر المعاصر مشروع الفيلسوف طه عبد الرحمن نموذجا، http://diae.net/18546/ ، تاريخ الزيارة 3/05/2018.

خاتمـــة

خاتمـــة

بالنسبة للجزء الأكبر من العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، لم تكن على علاقة جيدة. هيمنت القوالب النمطية والمفاهيم المسبقة للآخرين على هذه العلاقة لأنها تشكل آليات دفاعية عندما شعر الغرب بأضعف من الإسلام، في حين شكلت آليات للهجوم في المراحل التي شعروا فيها بأنهم أقوى، تطور الإسلام في العقل الغربي كدين للعنف في جميع مراحل العلاقة بين الحضارتين، هذا صحيح بالنسبة للحرب اللاهوتية المبكرة التي بدأت ضد الإسلام عندما كانت ضعيفة، إلى الحملات الصليبية وأعمال الدعاية المصاحبة التي افترضت الطبيعة الكنسية لتبرير عدوانها العسكري ، وصولاً إلى مرحلة الاستعمار ، التي ادعت العنف وانعدام التحضر كأسباب لاحتلال معظم العالم الإسلامي. لهذا، تم توظيف جيش من الباحثين والمستشرقين بشكل علني ودون علم لتنمية صورة الشرق والإسلام الذي يخدم الأجندة السياسية للأسياد الأوروبيين الاستعماريين. وهذا ينطبق أيضا على الفترة المعاصرة وظهور الحرب على الإرهاب التي أطلقتها أحداث 11 سبتمبر، والتي لم تنحرف عن التقاليد الفكرية الغربية وتصويرها النمطي للإسلام كدين للعنف والإرهاب.

إن توجيه الأنظار للمسلمين وإلحاق التهم بهم في كل حين فيما يحدث من أعمال إجرامية وإرهابية هي مواقف غير منصفة، وحملة عنصرية جديدة أشرس من أي عنصرية سابقة، كتلك التي استهدفت السود في الولايات المتحدة الأمريكية، أو جنوب إفريقيا، أو كتلك التي عانت منها الشعوب المستعمرة في شتى أصقاع الأرض

ومن جانب آخر، فاتخاذ الأعمال الإجرامية التي قامت بها فئة تنتمي إلى العالم الإسلامي ذريعة وسببا في تبني هذه المواقف اتجاه كل المسلمين، والتغاضي في المقابل عن الأعمال

الإجرامية التي تقوم بها فئات تنتمي إلى ديانات وحضارات أخرى، هو عين العنصرية والعداوة.

هذا وقد ارتأينا أن نتوج هذا العمل بتوصيات هي كالآتي:

- الدعوة إلى تطوير الخطاب الإسلامي وتوسيع نطاقه حتى يصل إلى الآخر، ويفهمه على الوجه الذي نريد -نحن المسلمين-لا الوجه الذي يريده غيرنا.
- ضرورة الاهتمام بالدعوة بشكل أكبر، وخاصة في البلاد غير الإسلامي.
- العمل على إصلاح ما بالمسلمين من بعد على الدين وضعف في التمسك به، حتى تصنع القدوات، ويكونوا بذلك لسان حال الإسلام، فيوصد الباب أمام كل متهجم على هذا الدين.
- أن على الأمة السعي إلى تحصيل أكبر قدر ممكن من أسباب القوة — في شتى الجوانب- حتى تستعيد هيبتها وتضمن بذلك أشكال تعدي الآخر.
- الدعوة إلى الحوار الديني العلمي البناء البعيد عن كل أوجه التعصب والغلو والأحكام المسبقة، في غير تنازل -منا نحن المسلمين -عن أي مبدأ أو مقوم من مقومات هذا الدين في سبيل إرضاء الآخر.
- على المؤسسات (المدنية والرسمية) في الغرب أن تضعف من جهودها وتعمل بشكل أكبر على نشر صورة الاسلام السمحة وتبديد المفاهيم المغلوطة والتهم الباطلة الزائفة.

فهرس الآيات القرآنية

نص الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾	الكافرون	6	21
﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	النحل	125	21
﴿ وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلناسِ ...أَكثرَ الناس لا يعلمون﴾	سبأ	28	30
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً .... الرسُولُ عَليكُم شَهِيدًا﴾	البقرة	143	30
1-﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ..... مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾	الكهف	39،32	31
﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا .....فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾	الحج	31	53
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾	البقرة	168	53
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾	الحديد	4	53
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان .....مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾	ق	16	53
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ ..... وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾	الأنعام	104	53
﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي .... فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾	الإسراء	105	54
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ .... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	فصلت	46	54
﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	الزخرف	72	54
﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا ..فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾	آل عمران	64	68
﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	آل عمران	114،113	69
﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً ..... فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾	المائدة	83	69
﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾	آل عمران	75	69

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
(العصبي من يعين قومه على الظلم)	13
(ليس منا من دعا إلى عصبته أو قاتل عصبيته)	13

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- سنن أبي داود: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، دط، دت.

الموسوعات والمعاجم:

1. الموسوعة العربية العالمية: تعريب: تييرادل فيوجو ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ط2، 1999م.
2. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ط 3، 1412هـ/1994م.
3. معجم الرائد: جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط 6، 1990م.
4. معجمي الحي: سهيل حسيب سماحة، مكتبة سمير، دب، ط 1، 1984.
5. موسوعة المغرب العربي: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، ط1، 1414هـ/1994م.
6. موسوعة المورد: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط1، 1981م.
7. أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، بيروت، دار الفكر، د ط، 1418هـ .
8. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط 4، 1921م، ج2.
9. إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1419هـ، 1999م، ج4.

10. مانع بن حماد الجهني ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1420 هـ، ج 2.

- **الكتب العامة :**

11. أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي. بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.

12. أحمد بن نعمان، التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟ ، شركة دار الأمة، الجزائر ، ط 2، 1997م .

13. احمد يوسف القرعي، العولمة وصدام الحضارات، قراءة في فكر مهاتير محمد، القاهرة، مكتبة الشروق ،2005.

14. باتريك جيه بوكانن، موت الغرب، ترجمة محمد محود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ ،2005م.

15. جعفر عبد السلام، نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر، في الإسلام وحوار الحضارات، تص، جعفر عبد السلام، مصر، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ،2002، ط1.

16. جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة، مركز الخليج للأبحاث، الامارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث ،2004.

17. حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، تـ 1988 م.

18. خليل عبد المجيد زيادة، الحوار والمناظرة في القرآن الكريم، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 1986 م.

19. السيد محمد الشاهد، المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار، القاهرة، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،2001.

20. شاكر عالم شوق، الاستشراق اخطر تحد على الإسلام، دراسات الجامعات الإسلامية العالمية شيتاغونغ، مج 3، تـــ ديسمبر 2006.

21. شاهر إسماعيل الشاهر، أولوية السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001 ، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2009،ط1.

22. عبد الله بن عبد المحسن التركي، في الإسلام وحوار الحضارات، تص: جعفر عبد السلام، مصر، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ،2002، ط1.

23. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير، الاستِشراق، الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، دار القلم، دمشق، ط 8، تـــ 1420 هـــ، 2000 م.

24. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن 21 ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ، ط2، 1436هـــ /2015م، الرباط المغرب.

25. عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الاعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 2،1993 .

26. عفيف عبد الرحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط 1 ، ت 1987.

27. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق د. عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، د ت.

28. عوض فتحي الملا، دور الإعلان في إيضاح الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين، مركز الدراسات والبحوث قسم الندوات واللقاءات العلمية، 2013

29. مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1420هـ،2000م.

30. محمد الغزالي ، التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، دار نهضة مصر، الفجالة، مصر، ط2، 2000م

31. محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2003م .

32. مصطفى شريف، حوار الحضارات والعلاقات الدولية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2016، ط1.

33. معتز سيد عبد الله، التعصب دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2 ،1997.

34. نادية محمود مصطفى، وآخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، ط1، القاهرة، دار السلام ،2004.

35. نعيم إبراهيم الظاهر، ظاهرة الإسلاموفوبيا الرهاب من الإسلام كتحدي سياسي للعالم الإسلامي والحلول المقترحة له، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإسلامية، عمان، أفريل 2007.

36. يحي مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2004 ,، ط 1، ص 7 .

37. يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1997م.

38. يوسف القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة، مكتبة دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1422ها ،2001م.

39. يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1416هـ، 1995م.

40. يوسف القرضاوي، البابا والإسلام ، دار وهبة القاهرة- مصر، د ت.

41. يوسف المراشدة، العولمة واثرها على العالم العربي: مشروع الشرق الاوسط الكبير. الاردن: دار الكندي للنشر والتوزيع ،7 200.

- **الرسائل و البحوث العلمية:**

✓ **الرسائل الجامعية :**

42. رائد أحمد غنيم، الخوف الغربي من الإسلام أسبابه ووسائله وآثاره، رسالة ماجستير قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية غزة، 2012 .

43. مرسي مشري، دور مسلمي أوربا في تفعيل حوار الحضارات دراسة حالة مسلمي فرنسا ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر 3.

✓ **البحوث الجامعية :**

✓ **المقالات :**

44. طارق لعجال، قمة الإرهاب كمرحلة في صراع الحضارات: قراءة لتطور العنف الإسلامي في العقل الغربي ، جامعة مالايا um ، ماليزيا، 2012.

45. مركز الكاشف للمتابعة و للدراسات الاستراتيجية، أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 أهم واخطر حدث في القرن الواحد والعشرين و نقطة تحول عظمى في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، مارس 2005.

✓ **المؤتمرات :**

46. طه جابر العلواني، الأبعاد المعرفية لحوار الحضارات، ورقة مقدمة إلى الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، بعنوان المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، المنعقد بالأردن ما بين 5-7 جويلية 1995.

47. عباس مهاج ارني، لماذا الحوار وبماذا نحاور الآخرين من أصحاب الحضارات المعاصرة، ورقة مقدمة إلى الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، بعنوان المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، المنعقد بالأردن ما بين 5-7 جويلية 1995.

48. عبد الله تركماني، سبل نجاح حوار الثقافات في عالم متغير، ندوة " التراث العربي والحوار الثقافي " ،من 23 ــ 25 ،11،2005، جامعة تونس.

49. محمد اكيج، الاعتراف بالآخر الديني ومستلزماته الأخلاقية والحوارية، المؤتمر الدولي إشكال العلاقة بين الحوار والأخلاق في الفكر المعاصر مشروع الفيلسوف طه عبد الرحمن نموذجا.

50. ندوة الخبراء العرب لصياغة موقف عربي وإسلامي في الحوار، المنعقد بأبوظبي، من 4 إلى 7 جانفي 2006.

✓ **المجلات :**

51. رابح زغوني، الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوربا مقاربة سوسيوثقافية، مجلة المستقبل العربي، د ت.

52. ستار جابر الجابري، أحزاب اليمين المتطرف في أوربا دراسة في الأفكار والدور السياسي، دراسات دولية، ع 35.

53. شراد فوزية ، الحوار والتواصل عند يورغن هابرماس، عالم التربية ، ع 17، 2007.

54. عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار الذات والآخر، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2004م، المحرم 1435هـ، ع 99.

55. محمود حسينات، الحضارة بين الحوار والصراع في عصر العولمة ، الـرائـد ، ع 251 ، ذو القعدة 1425هـ ،ديسمبر 2004م.

56. مشري مرسي، جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات، مجلة دراسات شرق أوسطية، الأردن، 1/11/2010.

57. ملوكي جميلة، الاستشراق في بلاد المغرب الإسلامي ، مجلة الانسام و المجتمع، العدد 2،الجزء الثاني، ديسمبر 2011 .

58. المهدي المنجرة ،حوار التواصل، عالم التربية، ع 17، 2007.

59. يامين بودهان ، تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام و المسلمين في الاعلام الغربي ، مجلة الوسيط للدراسات الإسلامية ، ,العدد 12، 2006، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر.

✓ **المواقع الالكترونية :**

60. شبكة الألوكة ، http://www.alukah.net

61. موقع قناة الجزيرة ، http://www.aljazeera.net .

62. شبكة الحوار المتمدن : http://www.ahewar.org.

63. موقع جريدة الرياض، http://www.alriyadh.com

64. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org .

الملاحـــق

الملحق:01.

من هو بينيديكت السادس عشر؟

البابا الجديد في أول قداس يحييه بعد انتخابه

الكاردينال الألماني جوزف راتسينجر يخلف البابا الراحل يوحنا بولس الثاني كأول بابا ألماني منذ 500 عام تقريباً. من هو راتسينجر الذي اتخذ الاسم البابوي بينيدكت السادس عشر؟ وهل سيواصل نهجه المحافظ أم سيستجيب لروح الحداثة؟

تردد اسم الكاردينال جوزف راتسينجر في الأيام التي سبقت مراسم اختيار البابا الجديد كأحد أبرز المرشحين لخلافة البابا السابق يوحنا بولس الثاني نظراً لكونه كبير علماء الكهنوت في الفاتيكان ولعلاقته الخاصة به وتبنيه مهام إدارية أحاطه بها البابا أثناء فترة مرضه الطويلة. وعلى الرغم من ذلك قوبل اختيار رايتسنجر المعروف بمحافظته وحرصه على حماية الإرث القيمي الكاثوليكي بتحفظ من قبل كرادلة أميركا اللاتينية الليبراليين نسبياً وبعض الكرادلة الألمان.

من هو جوزف راتسينجر؟ البابا الجديد

يقبل يد القديم

ولد الكاردينال رايتسنجر في 16.04.1927 في مدينة ماركتل في ولاية بافاريا في جنوب ألمانيا، ودرس الفلسفة وعلم اللاهوت، ثم تبنى تدريس علم اللاهوت في جامعة فرايزنغ ليحصل في عام 1957 على درجة الأستاذية في سن الثانية والثلاثين. وفيما بعد مارس رايتسنجر تدريس علم اللاهوت في جامعتي بون ومونستر. وأصبح رايتسنجر في عام 1951 قسيساً في مدينة ميونيخ. وقد خدم رايتسنجر، الذي يعتبر أول بابا ألماني يرأس الفاتيكان منذ 5 قرون، البابا الراحل منذ عام 1981 حيث شغل في هذا العام منصب رئيس لجنة الفكر المسيحي بناءً على رغبة البابا. وواصل رايتسنجر صعود درجات سلم النفوذ البابوي ليتم تأكيد اختياره في عام 1998 نائباً لرئيس مجمع الكرادلة من قبل البابا يوحنا بولس الثاني. وفي عام 2002 تم اختياره رئيساً لمجمع الكرادلة.

جوزف رايتسنجر المحافظ الذكي من كرسي الجامعي إلى أروقة الفاتيكان

يعد جوزيف رايتسنجر ممثلاً للتيار المحافظ داخل الكنيسة الكاثوليكية، فقد أصر دوماً على الإصرار على هوية الكنيسة ودورها "كدرع أخلاقي ضد ظواهر العصر اللاأخلاقية" وتبني مواقف معارضة للتيارات الليبرالية الممثلة في مواقف كرادلة أمريكا اللاتينية. هذا الموقف الصارم ظهر جلياً خلال النزاع حول إشكالية الإجهاض حيث رفض رايتسنجر كل المحاولات الهادفة إلى إعطاء الإجهاض غطاء من الشرعية الكاثوليكية. ويتوقع المراقبون أن لا يسعى رايسنجر إلى إجراء إصلاحات جذرية في هيكلة الكنيسة الكاثوليكية نظراً لتقدم سنه. وعلى الرغم من تحفظ نقاد الكنيسة تجاهه إلا أنه كان أول فتح ملفات جرائم الكنيسة الكاثوليكية. ويقول أستاذ التاريخ الكنسي في جامعة مونستر فينسنت فنور في معرض

تحليله الأولي لشخصية البابا الجديد:"من الصعب ذكر شخصية كتب عنها أشياء لا تتفق مع الواقع مثل شخصية جوزف رايتسنجر، فبالرغم من ذكائه وقدرته الفريدة من نوعها على التواصل، إلا أن صورته العامة لا تزال مصبوغة بترعة المحافظة".

بينيدكت السادس عشر كقدوة تاريخية

شعبية لا حدود لها في المناطق الألمانية الكاثوليكية

تقضي العادة التاريخية بأن يقوم البابا الجديد باختيار اسم بابا آخر كقدوة شخصية له. وفي هذا السياق لم يأت اختيار جوزف رايتسنجر محض صدفة، بل إعلاناً عن برنامج يتمتع بأطر واضحة. فقد كان البابا بينديكت السادس عشر رمزاً لدعم السلام العالمي لأنه عارض الحرب العالمية الأولى بشدة وقام بجمع مبالغ ضخمة لمساعدة ضحاياها. وعلى الرغم من أن جهوده ضاعت في أدراج الرياح إلا أنه دخل التاريخ كـــ"بابا السلام". وعلاوة على ذلك برهن موقفه المناهض للحرب على العراق وتوبيخه الصريح للرئيس الأمريكي بوش على عقده العزم على مواصلة رسالة بيندكت السادس عشر(1).

(1) نقلا عن موقع:WWW. DW-World.de

الملحق: 02.

الإيـــمـــان والعـــقـــل والجـــامـــعـــة

ذكـــريـــات وخـــواطـــر

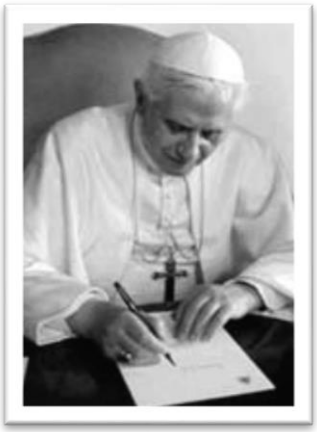

البابا بنديكت السادس عشر

سيداتي سادتي:

إنها للحظة مؤثرة أن أقف من جديد على منصة المحاضرات في الجامعة وأن يُسمَح لي مرة أخرى بإلقاء محاضرة.

في هذه الآونة، تسبح بي ذكرياتي عائدةً إلى تلك الأعوام المنصرمة التي باشرتُ فيها العملَ في جامعة بون كأستاذ أكاديمي بعد أن قضيت فترةً جميلةً من حياتي في معهد فرايزنغ. كان ذلك في العام 1959، أيام كانت الجامعة هي جامعة للأساتذة فقط: فلم يكن ثمة مساعدون ولا سكرتارية؛ ولهذا كانت لقاءات الأساتذة، سواء مع الطلاب أو مع بعضهم بعضًا، تحدث مباشرة، وكانت تنعقد في غرف المدرسين، إما قبل مواعيد إلقاء المحاضرات وإما بعدها. كانت الاتصالات واللقاءات بين المؤرخين والفلاسفة وعلماء اللغة من الجامعة

نفسها، وبطبيعة الحال، بين كلتا الكلِّيتين اللاهوتيتين أيضًا، حيةً ومتجددة إلى حدٍّ كبير. وفي كلِّ فصل من الفصول الدراسية كان يحدث مثل هذا التجمهر الأكاديمي الذي يقوم فيه الأساتذة من جميع الكلِّيات بالتعريف بأنفسهم أمام طلاب الجامعة كلِّها، فيتمكن المرءُ من معايشة تجمُّع علمي موسوعي Universitas حقيقي. وكان من الممكن رؤية أننا استطعنا بناء فكرة عامة في كافة الاختصاصات التي جعلتنا في الغالب نصغي في ذهول إلى بعضنا بعضًا، وأن نعمل إجمالاً على بناء الحكمة بكلِّ آفاقها وننحاز بمسؤولية جماعية إلى جانب الاستخدام الصحيح للعقل.

لا ريب أن كلتا الجامعتين كانتا مزهوتين بكلِّيتي اللاهوت لديهما، وكان جليًّا أن الجامعتين كلتيهما، من خلال طرحهما التساؤلات عن عقلانية الإيمان، تنجزان عملاً يرتبط بالضرورة بمجمل العلوم الكونية، – حتى لو لم يكن بمقدور الجميع تقاسُم المعتقد نفسه؛ – وهو عمل يجتهد علماءُ اللاهوت في ربطه بالعقلانية العامة.

هذا التماسك الداخلي في فضاء العقل لم يتضرر عندما تناهى إلينا ذات مرة أن أحد الزملاء قال: "إن ما يحدث في جامعتنا يثير الاستغراب: فاثنتان من الكلِّيات مهتمتان بما ليس موجودًا على الإطلاق، ألا وهو الله!" أما الوقوف بضرورة وحكمة في مواجهة هذا التشكيك المتطرف، والبحث عن الله عن طريق العقل، والقيام بهذا بالارتباط مع الموروث الإيماني المسيحي، فلم يكن مثار خلاف في الجامعة بأسرها.

توارَد ذلك كله إلى خاطري عندما طالعتُ مؤخرًا جزءًا من الحوار الذي نَشَرَه الأستاذ ثيودور خوري من جامعة مونستر والذي عَقَدَه القيصر البيزنطي العالِم مانويل الثاني في العام 1391 م في معسكره الشتوي قرب أنقرة مع علاَّمة فارسي حول المسيحية

والإسلام وحقيقة كلٍّ منهما. وقد دوَّن القيصر الحوار بنفسه في أثناء حصار القسطنطينية بين العامين 1394–1402 م. ومن هنا يفهم المرءُ لماذا نُقِلَتْ شروحُه بتفصيل أكبر من إجابات مُحاوره الفارسي.

امتد الحوار ليغطي كامل مساحة التركيبة الإيمانية المعروضة في القرآن والإنجيل وليدور، على وجه الخصوص، حول صورة الله والإنسان، علاوة على المسألة الأكثر إلحاحًا، أي العلاقة بين "الشرائع الثلاث": العهد القديم والعهد الجديد والقرآن. أرغب في هذه المحاضرة أن أعالج نقطةً هامشية أثارت انبهاري وَرَدَتْ في سياق الحوار فيما يتعلق بموضوعة الإيمان والعقل؛ وقد اعتبرتُها نقطة انطلاق لأفكاري وتأملاتي حول هذا الموضوع.

في الجولة السابعة من جولات الحوار التي نَشَرَها الأستاذ خوري تحت اسم "مسائل خلافية"، تطرَّق القيصر إلى موضوع "الجهاد" [الحرب المقدسة]، وكان يعلم قطعًا أن الآية 256 من سورة البقرة التي تقول "لا إكراه في الدين" هي من الآيات التي تعود إلى زمن مبكِّر كان محمد فيه لا يزال مهددًا ولا حول له. وكان القيصر عارفًا بطبيعة الحال بتلك التحديدات الأخرى الواردة في القرآن عن الجهاد والتي نصَّ عليها القرآنُ في مرحلة لاحقة. ودون إرخاء عنان الدخول في التفاصيل، من قبيل التفرقة والتمييز في معاملة أهل الكتاب والكفَّار، تحوَّل القيصر بطريقة خشنة مستغرَبة نحو محاوِرِه، موجهًا إليه السؤالَ المركزي عن العلاقة بين الدين والعنف، فقال:

> أرِني ما هو الجديد الذي أتى به محمد؟ لن تجد سوى السيئ واللاإنساني، مثل فَرْضِه نَشْرَ العقيدة التي يدعو إليها بحدِّ السيف.

وقد تابع الإمبراطور مبررًا قوله:

لماذا يُعَد نشرُ العقيدة بواسطة العنف مخالفًا للعقل؟ لأن ذلك يتعارض مع جوهر الله وجوهر الروح. فالله لا تُطلَب مرضاتُه بالدماء؛ وإن محاكمة الأمور بعيدًا عن المنطق والعقل يتناقض مع طبيعة الله. إن الإيمان هو ثمرة الروح، وليس ثمرة الجسد. ومَن يريد أن يهدي أحدَهم إلى الإيمان يحتاج إلى المقدرة على الكلام الطيب والتفكير السليم، وليس إلى العنف والوعيد. ولكي يتمكن المرء من إقناع الروح العاقلة فإنه لا يحتاج إلى ذراعه، ولا إلى طعنة سلاح يضرب به، ولا إلى أية وسيلة من الوسائل التي تجعله يهدِّد بها غيره بالموت.

إن الجملة الفاصلة في هذه المحاججة التي تعارض الهداية إلى العقيدة باستخدام العنف هي: إن محاكمة الأمور بعيدًا عن العقل والمنطق تتعارض مع الطبيعة الإلهية. وقد أضاف الناشر ثيودور خوري معلقًا:"إن هذه الجملة واضحة بجلاء في نظر القيصر، باعتباره بيزنطيًّا شبَّ على الفلسفة الإغريقية. وعلى العكس من ذلك، فإن الله في التعاليم الإسلامية عصيٌّ عصيانًا مطلقًا على الإدراك، وإرادتُه لا ترتبط بأيٍّ من مقولاتنا، حتى لو كان الأمر يدخل في باب رجاحة العقل."

ويستشهد خوري بأحد مؤلَّفات مستشرق فرنسي يشتغل بالإسلاميات يدعى روجيه أرنالديز R. Arnaldez، أشار إلى أن ابن حزم ذهب بعيدًا في توضيحه أن الله ليس ملتزمًا حتى بالمحافظة على كلامه وأنه ليس ثمة ما يُلزِمه بأن يكشف لنا الحقيقة. فحتى لو كانت مشيئته عبادة الأوثان لوجبتْ على الإنسان طاعتُها.

من هنا يتشكل بين فهم الله وبين التحقيق الملموس للدين مسارٌ فاصل يقف اليوم أمام أنوفنا متحديًا: هل الاعتقاد في أن "التصرف إذا جافى العقل فإنه يخالف جوهر الله وطبيعته" هو مجرد فكر يوناني فقط؟ أم أن ذلك سائد باستمرار ومعروف من تلقاء ذاته؟ أعتقد أن ما يظهر في جلاء في هذا المقام هو التناغم العميق بين ما هو يوناني وبين الإيمان بالله الذي يجد مرتكزَه في الكتاب المقدس."

استهل يوحنا مقدمة إنجيله بالآية الأولى في سفر التكوين: "في البدء كان الكلمة Logos." وهذه الكلمة هي بالتحديد ما كان يحتاجه القيصر: فالرب يتعامل بالكلمة [اللوغوس]، واللوغوس هو العقل والكلمة في آن معًا: العقل المبدع الخلاق الذي يمكن تداوُله ونقلُه كحكمة وكرشد. لقد أهدى إلينا يوحنا الكلمة الفصل لمفهوم الرب في الكتاب المقدس الذي يصل فيه الجميعُ إلى هدفهم عبر طُرُق الإيمان المسيحي الشاقة والمتعرجة ويعثرون على تكوينهم الروحي: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدن الله، والكلمة هو الله." (1) – هذا ما يقوله لنا الكتاب المقدس.

إن التلاقي بين رسالة الكتاب المقدس وبين الفكر الإغريقي لم يكن وليد المصادفة. فرؤيا القديس بولس – وهو الذي سُدَّتْ في وجهه دروبُ آسيا، وظهر له "رجلٌ مقدوني قائمٌ أمامه يتوسل إليه فيقول: "اعبُرْ إلى مقدونية وأغِثْنا" (2) – لا يمكن تفسيرُها إلا تثبيتًا لذلك التراكُب الملحِّ الصادر عن القلب بين عقيدة الكتاب المقدس والمسائل الإغريقية.

(1) إنجيل يوحنا 1: 1.

(2) أعمال الرسل 16/ 6-10.

كان هذا المدخل موجودًا منذ زمن طويل... إن الاسم المقدس الغامض في العلّيقة المشتعلة، الذي ميَّز الله عن الآلهة الأخرى الكثيرة الأسماء وأخرجَه من مصافها والذي يعبِّر في بساطة عن الوجود الإلهي، يتعارض مع الأسطورة التي تقف بإزاءها محاولةُ سقراط لقهرها والقفز من فوقها نوعًا من الاتساق الداخلي. إن السيرورة التي ابتدأت عند العليقة المشتعلة تبلغ في قلب العهد القديم مرتبةً جديدة من النضج خلال مرحلة النفي. فرب إسرائيل الذي أصبح دون أرض ودون تقديس أعلن عن نفسه ربًّا للسماوات والأرض، وقدَّم نفسه في صيغة بسيطة، مواصلاً كلمة العليقة: "موسى، موسى أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" [1]. بهذه المعرفة الجديدة عن الرب، يقودنا ممسكًا بيدنا نوعٌ جديد من التنوير يعبِّر تعبيرًا قاطعًا عن سخريته من الآلهة الأخرى التي ليست أكثر من "مصنوعات بشرية" [2].

وهكذا يتوجَّه إيمانُ الكتاب المقدس في الحقبة الهلينستية بكلِّ صرامة المواجهة نحو المعلِّمين الهلينستيين الذين أرادوا فرضَ التقريب بين طريقة الحياة الإغريقية وبين عبادة آلهتهم، أي مواجهة من العمق لأفضل ما يملكه الفكر الإغريقي من أجل التوصل إلى تلاقٍ ما فَرَضَ نفسه فيما بعد في أسفار الحكمة.

إننا اليوم على دراية بأن الترجمة اليونانية للعهد القديم التي ظهرت في الإسكندرية، المعروفة باسم "السبعينية" Septuagenta، هي أكثر من مجرد ترجمة للنصِّ العبري (لو قيَّمنا الأمر بشيء من الإيجابية) أو مجرد شاهد نصيٍّ مستقل، بل هي خطوة هامة في تاريخ

(1)سفر الخروج 3/ 4-6.

(2) انظر: المزمور 113/115.

الوحي الإلهي تحقَّق فيها هذا التلاقي بطريقة حظيت بأهمية فائقة في نشوء المسيحية وانتشارها. يتعلق الأمر عمقيًّا بالتلاقي بين الإيمان والعقل، بين التنور الفعلي والدين. كان مانويل الثاني يستطيع القول، انطلاقًا من الجوهر الباطني للإيمان المسيحي ومن جوهر الفكر الهلينستي المختلط بالإيمان والمتمازج معه: "مَن لا يتعامل بالعقل فإنه يخالف جوهر الرب وطبيعته."

حسبنا القليل من التراهة لكي نلاحظ أن العصور الوسطى المتأخرة شهدت ظهور ميول لاهوتية تتجاوز التركيبات الإغريقية والمسيحية. ففي مقابل ما يُدعى "عقلانية" أوغسطينوس وتوما الأكويني، بدأت عند يوهان دَنْس سكوتوس نظريةُ الإرادة التي تدفعنا في نهاية المطاف إلى القول: "إننا لا نعرف من الرب إلا إرادته." من ناحية أخرى، فإن الرب قادر، بموجب الحرية التي يملكها، أن يتصرف أو يقوم بما يعاكس أفعاله السابقة ويناقضها. وهنا تتمايز مواقف يمكن لها أن تتقارب مع تصورات ابن حزم وتصل بنا إلى صورة الرب المتعسف، غير المرتبط لا بالحق ولا بالخير.

إن السمو والغيرية الإلهيين هما في آفاق عليا لا يعود فيها عقلُنا أو مفهومُنا عن الخير والشر مرآةً لله الذي تبقى قدراتُه غير المحدودة، الكامنة خلف إرادته الفعلية، مستورةً وغير مدرَكة في نظرنا. في مقابل ذلك، أكَّد الإيمانُ المسيحي على الدوام وجود تطابُق فعلي بين روح الخالق وبين عقلنا المخلوق، ولكنه تطابُقٌ قياسي ما فيه من المتخالفات أكبر إلى حدٍّ لانهائي من المتشابهات، ولكن ليس إلى درجة إلغاء التطابق ولغته.

إن الرب لا يصبح أقدس إذا غيَّبناه خلف إرادة مطلقة لا يمكن النفاذ إليها. ولكن الرب القدوس الحقيقي هو الرب الذي يُظهِر نفسه كـــ"كلمة" [لوغوس]؛ وهو يعاملنا

بمحبة ويتعامل معنا باعتباره "اللوغوس". يقينًا أن المحبة تسمو على المعرفة، ولذلك فهي قادرة على الإدراك أكثر من التفكير المجرد؛ ولكنها تظل محبة لوغوس الرب لأن عبادة الله تدخل في تناغم مع الكلمة الأبدية ومع عقلنا.

إن هذا التراكُب الداخلي المشار إليه بين الإيمان في الكتاب المقدس وبين المسائل الفلسفية الإغريقية هو حدث حاسم، ليس فقط من ناحية تاريخية دينية، وإنما من ناحية تاريخية عالمية. ولو تأملنا هذا التلاقي لا نجد عجبًا في أن المسيحية، على الرغم من منشئها في الشرق ومن انتشارها الهام هناك، لاقت في أوروبا، في آخر المطاف، طابعَها البارز تاريخيًّا. ويمكن لنا بالعكس أن نقول إن هذا التلاقي، مضافًا إليه الإرث الروماني، استطاع خلق أوروبا وبقي أساسًا لما يمكن له أن يُسمَّى بحق "أوروبا".

إن أطروحة تبعية الإرث الإغريقي المنقَّى من الشوائب جوهريًّا إلى الإيمان المسيحي يقف على النقيض من مطلب تخليص المسيحية من "الهلينية" الذي هيمن هيمنةً مضطردة على التراعات اللاهوتية منذ بداية التاريخ المعاصر. ولو تم تناول الموضوع تناولاً أقرب لأمكنت ملاحظةُ ثلاث موجات لبرنامج "نزع الهلينية" مترابطة فيما بينها، ولكنها تتمايز تمايزًا واضحًا في عللها وأهدافها.

لقد ظهر "نزع الهلينية" في البداية مترابطًا مع المطلب المبدئي في الإصلاح خلال القرن السادس عشر، ووجد الإصلاحيون أنفسهم، فيما يتعلق بالتقليد المدرسي اللاهوتي، في مواجهة منظومة إيمانية تحدِّدها الفلسفة، أي أمام إيمان تحدِّده طريقةُ تفكير غريبة عنه ولا تنبع من ذاته. وبذلك ظهر الإيمان ليس ككلمة تاريخية حية، بل محصور ضمن نظام فلسفي مغلق. "وحده" الكتاب المقدس Sola Scriptura يبحث، في المقابل، عن منشأ

الإيمان النقي الطاهر كما هو موجود أصلاً في "كلمة" الكتاب المقدس. بدت الميتافيزيقا بذلك كمعطى سابق مأخوذ من مكان آخر، على الإيمان أن يتحرَّر منه بحيث يتمكن مجددًا من أن يكون هو نفسه وليس غيره.

وبتطرف لم يكن ممكنًا للإصلاحيين رؤيته، أخرج كانط نفسه من هذا البرنامج بقوله إنه كان عليه "إزاحة التفكير جانبًا ليفسح مكانًا للإيمان"، وأرسى الإيمان إرساءً نهائيًّا في "العقل العملي"، ثم أنكر عليه الدخول إلى الواقع بشكل عام.

جلب اللاهوت الليبرالي في القرنين التاسع عشر والعشرين موجةً ثانية في برنامج "نزع الهلينية"، كان ممثلها الأبرز أدولف فون هارناك. وعندما كنت طالبًا في السنوات المبكرة من عملي الأكاديمي، كان هذا البرنامج يعمل بقوة في اللاهوت الكاثوليكي. إن تمييز پاسكال ما بين "رب الفلاسفة" و"رب إبراهيم واسحق ويعقوب" كان نقطة الانطلاق. وقد حاولت أن أناقش ذلك عِبْرَ محاضرتي الأولى في جامعة بون في العام 1959 – ولا أريد أن أتناوله من جديد، ولكنني على الأقل أريد، بمنتهى الاختصار، استخراج الجديد الذي ميَّز الموجةَ الثانية من موجات التخلص من الهلينية عن سابقتها.

كان لب الفكرة عند هارناك هو العودة إلى يسوع الإنسان البسيط وإلى رسالته الخالية من التعقيد التي تتفوق على جميع اللاهوتيات والهلينيات: هذه الرسالة البسيطة تعبِّر عن القمة الحقيقية لتطور البشرية الديني. فالمسيح تنازَل عن لاهوت العبادة لصالح الأخلاق، وهو في نهاية المطاف والد الرسالة الأخلاقية المتصالحة مع الإنسان.

وهكذا فإن الأمر في الأساس هو وضع المسيحية في تناغُم مع العقل المتطور، بحيث تتحرر من العناصر الفلسفية واللاهوتية، وإدخالها في انسجام مع الإيمان بألوهية المسيح

ووحدة الثالوث الرباني. ومن هذه الزاوية، قام التفسير النقدي التاريخي للعهد الجديد بترتيب علم اللاهوت من جديد وإعادته قشيبًا إلى رحاب الجامعة. فاللاهوت عند هارناك تاريخي في الأساس، وعلمي إلى هذا المستوى من الصرامة. أما ما كَشَفَه وحقَّقه على طريق نقد المسيحية فهو مصطلح "العقل العملي" وجعله مقبولاً وسائغًا في الوسط الجامعي.

على خلفية ذلك، يتوضَّع التحديد العصري للعقل مثلما وَجَدَ تعبيره الكلاسيكي في نقديات كانط. لكنه في غضون ذلك صار أكثر تطرفًا، متأثرًا بتفكير علوم الطبيعة. وباختصار، فإن هذا المفهوم الحديث عن العقل يرتكز على تركيبة ما بين الأفلاطونية والتجريبية أكَّدها النجاحُ التقني. فمن ناحية أولى، افترض البناءُ الرياضي للمادة عقلانيتَه الداخلية التي تجعل فهمه واستخدامه ممكنين وفق الشكل الذي يؤثر فيه – وهذا الافتراض المبدئي يمثل العنصر الأفلاطوني في فهم الطبيعة المعاصر؛ ومن ناحية ثانية، يدور الموضوع حول إمكانية توظيف الطبيعة في خدمة أغراضنا، حيث إن الإثبات أو النفي في التجربة هو الذي يفرز اليقين. إن التوازن بين كلا القطبين يمكن له أن ينحرف: فقد يتركز الثقل في جهة واحدة أو في الجهة الأخرى المقابلة لها. وإن أحد المفكرين الوضعيين المتصلبين، وأعني به جاك مونود J. Monod، كان يصف نفسه من أتباع الأفلاطونية أو من أتباع التجريبية.

ترتَّب على هذا التحليل اتجاهان أساسيان حاسمان بخصوص مسألتنا: الأول هو أن شكل اليقين الناتج عن الاتفاق بين الرياضيات والتجريب هو فقط ما يسمح لنا بالتكلم عن العلمية، والثاني أن ما يريده العلم يجب أن يقع تحت هذا المقياس. وتحاول العلوم الإنسانية، كالتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، أن تتقارب مع قانون العلمية هذا.

لازال من المهم بالنسبة إلى تفكيرنا أن نعلم أن طريقة كهذه في التفكير تستبعد مسألة الله وتتركها تبدو وكأنها مسألة لاعلمية أو ما قبل علمية. ونحن نقف بهذا أمام تقليصٍ لدائرة العلم والمنطق لا بدَّ يكون موضع نقاش – وسوف نعاود الحديث عن هذا الموضوع. علينا أن نبين في غضون ذلك أن المحاولة التي تتفرع عن وجهة النظر هذه والتي تريد الحصول على اللاهوت بطريقة "علمية" لن تُبقي فيه إلا على جزء زهيد مسكين من الديانة المسيحية. بل علينا أن نقول أكثر من ذلك: إن الإنسان نفسه سوف يُختزَل في هذه الحالة، لأن المسائل الإنسانية البحتة التي تدور حول أصلنا ومنتهانا، مسائل الدين والأخلاق، لا يمكن لها أن تجد لنفسها مكانًا في فضاء العقل المشترك المحدَّد بالعلم، وعليها أن تُنقَل وتعود إلى الذات.

تقرِّر الذات بخبرتها ما الذي يبدو في الدين محمولاً بالنسبة إليها. وإن الوعي الذاتي يصبح في النهاية هو الجهة المخولة أخلاقيًّا؛ ولكن قد يخسر الدين والأخلاق قوتهما المشتركة ويسقطان في المزاجية.

تمثل هذه الحالة خطورةً على الإنسانية: إننا نرى أن ما يهددنا من أمراض الدين والعقل يجب إزالتها حيثما يكون العقل ضيقًا، بحيث لا تعود مسائل الدين والأخلاق تابعة له. أما ما يبقى من المحاولات الأخلاقية لقواعد علم النشوء وعلم النفس وعلم الاجتماع فهو، بكلِّ بساطة، غير كاف.

قبل أن أصل إلى النتائج النهائية التي أريد استخلاصها من ذلك كلِّه، سوف أتطرق باختصار إلى الموجة الثالثة من موجات "نزع الهلينية" التي لا تزال جارية إلى يومنا هذا.

فيما يتعلق بالتلاقي مع هذا التعدد من الثقافات يمكن للمرء اليوم أن يقول بطيبة خاطر: إن ما حدث في الكنيسة القديمة من جَمْع بين المسيحية والإغريقية كان أول تطعيم ثقافي للمسيحية – تمازُج لا تسمح الثقافات الأخرى بتبنِّيه، ومن حقِّها علينا العودة إلى ما وراء هذا التمازج، إلى سفارة العهد الجديد البسيطة، لكي نتمكن من إعادة تطعيمها مرة أخرى. لا يمكن ببساطة اعتبار هذه الفرضية مغلوطة، وإنما تقريبية وغير دقيقة، لأن العهد الجديد كُتِبَ بالإغريقية ويحمل في ذاته هذا التلامس مع الروح الإغريقية التي نضجت في خضم التطور المضطرد للعهد القديم. ثمة جزمًا قطاعات في عملية نشوء الكنيسة القديمة يجب تحاشي دمجها في الثقافات الأخرى، ولكن القرارات المبدئية التي تمس العلاقة بين الإيمان والبحث عن العقل الإنساني تلحق بهذا الإيمان نفسه وبما يقتضيه من نموٍّ وانتشار.

أصِلُ بهذا التفكير إلى خاتمة المطاف. إن هذه المحاولة في نقد العقل المعاصر نقدًا ذاتيًّا وفق خطوط عريضة لا تتضمن مطلقًا مفهوم وجوب العودة إلى الوراء، إلى ما قبل مرحلة التنوير، وإسقاط قناعات الحضارة الحديثة. إن حجم التطور الروحي الحديث ينبغي أن يُعترَف به، دون الغضِّ منه أو الحط من قدره. فعلينا جميعًا أن نعترف بفضل ما أُهدِيَ إلينا من الإمكانات التي أفادت الإنسان ومن الارتقاءات التي طرأت على البشرية. فالأخلاقية العلمية هي، فيما عدا ذلك، إرادة الخضوع أمام الحقيقة، وهي من هذا الجانب تعبير عن الفحوى التي تنتمي إلى القرار المبدئي في الدين المسيحي.

إن القصد ليس التراجع إلى الوراء ولا النقد السلبي، وإنما توسيع مصطلح العقل واستخدامه. ومع كلِّ حبورنا بالإمكانات الجديدة المطروحة أمام الإنسان، فإننا نستشرف أيضًا المخاطر التي تبرز من هذه الإمكانات، وعلينا أن نتساءل كيف نستطيع أن نمسك بزمامها ونكون أسيادها. ولن يقيض لنا النجاح في هذا المسعى إلا إذا تلاقى العقل والإيمان

بأسلوب جديد، وإذا تخطينا الحد الذي يفرضه العقل على ما تنفيه التجربة واستطاع العقل من جديد الامتداد على كامل مداه. ويكمن اللاهوت في هذا المعنى، ليس باعتباره نظامًا تاريخيًّا بشريًّا، وإنما كلاهوت حقيقي، أي كتساؤل عن عقلانية الإيمان في الجامعة، يدخل في الحوار العلمي الواسع. بهذا الشكل فقط سوف نكون أهلاً لمباشرة حوار حقيقي نحتاجه بإلحاح بين الثقافات والأديان.

إن الاعتقاد السائد في العالم الغربي هو اعتبار المنطق الوضعي شموليًّا، وكذلك أشكاله الفلسفية الملحقة به. ولكن ثقافات العالم المتعمقة في الدين تعتبر أن هذا الاستبعاد للإلهيات من شمولية العقل هو مجافاة لأكثر قناعاتها عمقًا وتجذرًا. إن العقلانية التي تصم آذانها عن كلِّ ما هو إلهي، فتطرد الدين خارج مجال الثقافات الثانوية، هي عقلانية غير مؤهَّلة للدخول في حوار الحضارات. ومع ذلك فإن المنطق العلمي الحديث – كما حاولت تبيانه – يحمل في طياته، مع عنصره الأفلاطوني المستوطن فيه، سؤالاً يتجاوزه ويتجاوز إمكاناته المنهجية، وعليه هو نفسه أن يتقبل ببساطة البنيةَ العقلية للمادة والتخاطب بين روحنا وبين البنيات العقلية السائدة في الطبيعة كمسلَّمة مفروغ منها يرتكز عليها طريقُه المنهجي. لكن السؤال هو: لماذا يوجد مثل هذا الواقع الذي يجب على العلوم الطبيعية أن تَكِلَ المهمةَ فيه إلى مستويات أو وسائل تفكير أخرى – أي إلى اللاهوت والفلسفة؟

إن الاستماع إلى الخبرات الكبيرة وإلى وجهات نظر المنقولات الدينية للإنسانية – وأخص منها العقيدة المسيحية – يشكل منبعًا معرفيًّا ثرًّا للفلسفة، وبطريقة أخرى للاَّهوت أيضًا، منبعًا يأبى أيَّ اختصار أو اختزال غير مقبول لاستماعنا وإجابتنا.

تحضرني هنا كلمة سقراط لفيدون. ويلمس المرءُ في بداية حوارهما كثيرًا من الآراء الفلسفية المغلوطة:"من اليسير أن نفهم أن أحدًا ما – بدافع من الغضب والحنق على هذه الكثرة من المقولات المغلوطة – قد يصرف ما تبقَّى من عمره في مقت كلِّ المقولات عن الوجود البشري وهَجْوِها، ولكنه سوف يحرم نفسه من حقيقة الموجودات، وعليه أن يقاسي ضررًا كبيرًا."

بقي الغرب زمنًا طويلاً يهدِّده الانحرافُ عن المسائل الجوهرية في العقل، ويمكن له أن يعاني "ضررًا كبيرًا" من جراء ذلك. إن شجاعة توسيع العقل وعدم رفض عظمته هو البرنامج الذي ينبغي أن يتبناه اللاهوت الملتزم بإيمان الكتاب المقدس عندما يخوض جدال واقعنا الراهن.

"إن محاكمة الأمور بعيدًا عن المنطق والعقل [اللوغوس] مخالفة لطبيعة الله"، كما قال مانويل الثاني لمحاوِرِه الفارسي، منطلقًا من تصوُّره المسيحي عن الله. وإلى هذا اللوغوس العظيم، إلى هذه السَّعَة من العقلانية، ندعو شركاءنا في حوار الثقافات. وإن المهمة العظمى أمام الجامعة هي السعي المستديم للعثور عليه من جديد.(1)

(1) نقلا عن موقع:WWW. DW-World.de

فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحة
شكر و عرفان	1
ملخص باللغة العربية	2
ملخص باللغة الإنجليزية	3
مقدمة	أ
الفصل الأول: مفاهيم عامة التعصب، الحوار و دوافعه	
المبحث الأول: التعصب: مفهومه، تفسيراته العلمية، أنواعه	13
المطلب الأول: مفهوم التعصب.	13
المطلب الثاني: تفسيرات التعصب العلمية.	17
المطلب الثالث: أنواع التعصب.	19
التعصب العنصري أو الجنسي	19
التعصب الديني	22
التعصب اللغوي	23
المبحث الثاني : الحوار : مفهومه وأنواعه ، و أسباب الصراع	24
المطلب الأول: مفهوم الحوار مع الآخر	24
المطلب الثاني : مفهوم مصطلحات ذات الصلة	25
مفهوم الجدل لغة واصطلاحًا وعلاقته بالحوار	25
مفهوم المناظرة لغة واصطلاحًا وعلاقتها بالحوار	25
المطلب الثالث : أسباب الصراع	26
المبحث الثالث: دوافع حوار الحضارات وضروراته	30
المطلب الأول: الدوافع الغربية من حوار الحضارات	30
المطلب الثاني: حاجة العرب والمسلمين للحوار	31
المطلب الثالث : دوافع متعلقة بالوضع الدولي الراهن	34

الفصل الثاني صور و مظاهر التعصب الغربي ضد الإسلام	
المبحث الأول: أحداث 11سبتمبر2001 نقطة تحول في علاقة الغرب بالإسلام	39
المبحث الثاني: المستشرقين، دوافعهم و أهدافهم	39
المطلب الأول : الاستشراق لغة و اصطلاحاً	39
المطلب الثاني : دوافع المستشرقين وأهدافهم	40
الأول: الدافع الديني أو المذهبي ضد الإسلام والمسلمين	41
الثاني: الدافع الاستعماري	42
الثالث: الدافع التجاري أو الاقتصادي	43
الرابع: الدافع السياسي	43
الخامس : الدافع العلمي .	44
المبحث الثالث: صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية و المقررات المدرسية	45
المطلب الأول: الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين في الغرب في وسائل الإعلام	45
المطلب الثاني: المقررات المدرسية الغربية	47
المبحث الرابع: اليمين المتطرف ودوره في تصعيد حملة الكراهية ضد المسلمين	48
المطلب الأول : من هي أحزاب اليمين المتطرف؟	48
المبحث الخامس: الخطاب الغربي بعد احداث 11 سبتمبر 2001	50
المطلب الأول: الخطاب السياسي	50
المطلب الثاني : الخطاب الديني خطاب البابا بنيديكت السادس عشر -نموذجا -	52
دوافع البابا إلى التطاول على الإسلام	54
الفصل الثالث أثر التعصب على العالمين المسيحي والإسلامي وضرورة الحوار	
المبحث الأول: اضطهاد الأقليات المسلمة	57
المطلب الأول :المقصود بالأقليات و كيف نشأة	58
المطلب الثاني : أسباب الممارسات الغربية غير العادلة تجاه المسلمين في الغرب	59
المطلب الثالث: أحداث تاريخية بارزة بعد 11سبتمبر 2001	61
المبحث الثاني: بروز فكرة الخوف من الإسلام	64

المطلب الأول : ما معنى مصطلح الإسلاموفوبيا؟	64
المطلب الثاني : بداية ظهور مصطلح الإسلاموفوبيا	64
المطلب الثالث : أسباب ظاهرة الإسلاموفوبيا	65
المبحث الثالث: ثقافة التسامح وأهمية الحوار	66
المطلب الأول: ثقافة التسامح والتعايش	66
المطلب الثاني : التعايش عند غير المسلمين	67
المطلب الثالث: ضرورة التعايش مع الآخر	68
المطلب الرابع: الاعتراف بالقيم الإيجابية للآخر	69
خاتمة	75
فهرس الآيات	78
فهرس الأحاديث	79
قائمة المصادر و المراجع	80
الملاحق	87
فهرس الموضوعات	105